تعقبات العلامة الشوكاني في تفسيره لأقوال الإمام ابن عطية

(جمعٌ ودراسةٌ)

إعداد

إبراهيم علي علي عامر
أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين جامعة الأزهر، طنطا.
البريد الإلكتروني: EbraheemAamer.27@azhar.edu.eg

إصدار يناير لسنة ٢٠٢٣

شعبة النشر والخدمات المعلوماتية

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن صورة من صور منهج النقد عند المفسرين، من خلال جمع تعقبات العلامة الشوكاني، لأقوال الإمام ابن عطية (التي أوردها في تفسيره في تفسيره فتح القدير بصيغة: قال ابن عطية)، ودراستها وتقييمها، في ضوء قواعد التفسير وآراء المفسرين.

وتكون البحث من تمهيد ومباحث؛ خصص التمهيد للتعريف بمصطلحات البحث، وتعريف موجز بالإمامين وكتابيهما. وخصص المبحث الأول لتعقبات العلامة الشوكاني لأقوال الإمام ابن عطية المتعلقة بالمعنى والنظم، والثاني لتعقبات العلامة الشوكاني لأقوال الإمام ابن عطية المتعلقة بالوقف والابتداء، والثالث لتعقبات العلامة الشوكاني لأقوال الإمام ابن عطية المتعلقة باللغة، والرابع لتعقبات العلامة الشوكاني لأقوال الإمام ابن عطية المتعلقة بالعقيدة. وقد انتهج البحث مناهج: الاستقراء والتحليل. وخلص البحث إلى نتائج، أهمها: رجحان آراء الإمام ابن عطية في الغالب، ورجحان بعض تعقبات العلامة الشوكاني، ووقوع الوهم من العلامة الشوكاني في واحد من تعقباته.

الكلمات المفتاحية:

القرآن – النقد – الترجيح - الاستدراكات– الشوكاني – ابن عطية.

Criticisms of Imam Al-Shawkani in his interpretation For Sayings of Imam Ibn Attia (collect and study)

- Ibrahim Ali Ali Amer
- Department of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion, Tanta, Al-Azhar University, Tanta, Egypt.
- Email: EbraheemAamer.27@azhar.edu.eg

Abstract:

The research aims to reveal a form of the method of criticism of the commentators, by collecting the traces of the scholar Al-Shawkani, to the sayings of Imam Ibn Attia (which he included in his interpretation in his interpretation of Fath al-Qadeer in the form: Ibn Attia said), studying and evaluating them, in the light of the rules of interpretation and the opinions of the commentators.

The research consists of an introduction and investigations. The introduction was devoted to defining the research terms, and a brief definition of the two imams and their books. The first section was devoted to the traces of Allama Al-Shawkani to the sayings of Imam Ibn Attia related to meaning and systems, the second to the traces of Allama Al-Shawkani to the sayings of Imam Ibn Attia related to endowment and initiation, and the third to the traces of Allama Al-Shawkani to the sayings of Imam Ibn Attia related to language, and the fourth to the traces of Allama Al-Shawkani to the sayings of Imam Ibn Attia related to belief. The research adopted two approaches: induction and analysis. The research concluded with results, the most important of which are: the preponderance of the opinions of Imam Ibn Attia in most cases, the preponderance of some of Al-Shawkani's interpretations, and the occurrence of delusion from Al-Shawkani in one of his investigations.

Keywords: the Qur'an - criticism - weighting - corrections - Al-Shawkani - Ibn Attia.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد رسول الله الأعظم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه، ومن تبعهم إلى يوم الدين وسلّم.

أما بعد ...

فقد نزل القرآن الكريم على قلب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ آمرًا بأسباب العلم، داعيًا لإعمال الفكر، وحاضّا على التدبر وحسن الفهم؛ وصولًا إلى إدراك الحقائق، قدر طاقة الإنسان واستطاعته.

وقد أحسن المفسرون الإفادة من تلك التوجيهات القرآنية السامية، في تناولهم لموضوعات علم التفسير ومتعلقاته، مما أثمر منهجًا علميًا متكاملًا، يخدم تفسير القرآن الكريم وعلومه.

وفي طيات هذا المنهج المتكامل لدى المفسرين يبرز مسلك النقد أو أسلوب النقد، ليضفي قوةً فوق قوة للمنهج ككل، ورسوخًا بعد رسوخ لمسيرة التفسير الخالدة.

ويمثل مسلك النقد والتعقب والاستدراك عند المفسرين قمة الموضوعية، التي ينبغي أن تتحلى بها منهجية العلم، فقد ينقل مفسرٌ عن مفسرٍ سابق له، ويفيد من جهوده، ومع ذلك يتعقبه في بعض ما نقل عنه!.

ولعل هذا مما يستدعى الوقوف على تلك الظواهر العلمية، درسًا، وتحليلًا، وتقييمًا؛ للإفادة منها في إثراء الدرس التفسيري أولًا، والإسهام بقدر ما ـ ولو يسيرًا - في خدمة علم التفسير.

من هنا جاءت هذه الدراسة الموجزة، تحت عنوان:
(تعقبات العلامة الشوكاني في تفسيره
لأقوال الإمام ابن عطية "جمعٌ ودراسةٌ").

- حدود البحث:

يركز البحث على دراسة تعقبات العلامة الشوكاني في تفسيره (فتح القدير) لأقوال الإمام ابن عطية التي أوردها العلامة الشوكاني على وجه التصريح (قال ابن عطية)، في ضوء أصول التفسير وقواعده.

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تظهر أهمية الموضوع من وجوه؛ أهمها:

١- القيمة العلمية لكل من السفرين: (المحرر الوجيز) و(فتح القدير) ومؤلفيهما.

٢- المساهمة في تسليط الضوء على نماذج تطبيقية للاتجاه النقدي عند المفسرين.

٣- إثراء الدرس التفسيري الحديث، من خلال الإفادة من التعقبات، وتوظيفها في بناء الشخصية الناقدة في الجانبين العلمي والعملي.

- مشكلة البحث:

تتلخص المشكلة الرئيسة للبحث في: ما اشتهر بين الدارسين من اعتماد العلامة الشوكاني في تفسيره آراء عدد من المفسرين، ومن بينهم الإمام ابن عطية، وما تبع ذلك من تعقب العلامة الشوكاني لبعض هذه الآراء بالنقد؛ مما يستلزم دراسةً تقييمةً لتلك التعقبات، في ضوء أصول التفسير وقواعده.

ويمكن تفصيل مشكلة البحث من خلال الأسئلة الآتية:

- ما المراد بالتعقبات في التفسير؟
- ما تقييم تعقبات العلامة الشوكاني لأقوال الإمام ابن عطية المتعلقة بالمعنى والنظم؟
- ما تقييم تعقبات العلامة الشوكاني لأقوال الإمام ابن عطية المتعلقة بالوقف والابتداء؟

ما تقييم تعقبات العلامة الشوكاني لأقوال الإمام ابن عطية المتعلقة باللغة؟

ما تقييم تعقبات العلامة الشوكاني لأقوال الإمام ابن عطية المتعلقة بالبحوث العقدية.

- ما أثر تعقبات العلامة الشوكاني للإمام ابن عطية في الدرس التفسيري؟

- أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١- الإسهام في بيان مفهوم التعقبات في التفسير وحدود.

٢- تقييم تعقبات العلامة الشوكاني لأقوال الإمام ابن عطية المتعلقة بالمعنى والنظم.

٣- تقييم تعقبات العلامة الشوكاني لأقوال الإمام ابن عطية المتعلقة بالوقف والابتداء.

٤- تقييم تعقبات العلامة الشوكاني لأقوال الإمام ابن عطية المتعلقة باللغة.

٥- تقييم تعقبات العلامة الشوكاني لأقوال الإمام ابن عطية المتعلقة بالعقيدة.

٦- بيان قيمة تلك التعقبات بصورة عامة في الدرس التفسيري.

- الدراسات السابقة:

وقفت على دراسة أشارت إلى موقف الإمام الشوكاني من الإمام ابن عطية في التفسير، وهي: الإمام الشوكاني مفسرًا، رسالة دكتوراه، في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع الكتاب والسنة، من إعداد محمد حسن أحمد الغماري، بإشراف الأستاذ السيد أحمد صقر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، وهي منشورة بشبكة المعلومات الدولية.
وقد أشار فيها المؤلف إلى تعقبات الإمام الشوكاني لآراء الإمام ابن عطية في الصحيفة رقم (١٣٦، ١٣٧)، حيث عرض موضعين فقط، تعقب فيهما الإمام الشوكاني رأي الإمام ابن عطية، دون دراسة أو تعليق.
ويختلف بحثي عن هذه الرسالة موضوعًا ومنهجًا؛ أما الموضوع؛ فالكتاب يهتم بدراسة الإمام الشوكاني مفسرًا بصورة عامة، بينما يركز بحثي على تعقباته لأقوال الإمام ابن عطية التي نقلها عنه، وأما المنهج؛ فالكتاب في الغالب تحليلي وصفي، بينما يغلب على بحثي التحليل والمقارنة والنقد.

- منهج البحث:

ينتهج البحث إجمالًا منهجًا متكاملًا، يتألف من خطوات؛ هي:
- الاستقراء التام: وذلك في تتبع جميع ما أورده العلامة الشوكاني من أقوال الإمام ابن عطية وتعَقَّبَها.
- التحليل والنقد، من خلال تحرير محل الخلاف بين الإمامين، ومن ثم دراسته دراسة تقييمية؛ للوقوف على القول الراجح، وفق أصول التفسير وقواعده.
وأما خطوات المنهج المتبع في الدراسة تفصيلًا، فكانت كالآتي:
١- وضع عنوان مختصر مناسب للمسألة محل الخلاف، في صدر الصفحة.
٢- عرض قول الإمام ابن عطية أو اختياره أو رأيه (المتعقَب) في المسألة، مع التعليق عليه -إن دعت الحاجة-.
٣- عرض تعقب الإمام الشوكاني، مع التعليق عليه -إن دعت الحاجة-.
٤- دراسة الخلاف في المسألة، بعرض الأقوال الواردة فيها،ودليل كل منها بإيجاز.
٥- بيان القول الراجح في المسألة، مع بيان مستند الترجيح.
هذا وقد التزمت عددًا من الخطوات في البحث، أهمها:
١- عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها في صلب البحث، عقب ذكر الآية.
٢- عزو أقوال العلماء وكل ما أفدته من كلامهم إلى مصادرها في الحاشية، وفق طريقتين:
- الأولى: إذا كان المنقول نصًا؛ يوضع بين علامتي تنصيص "....."، ويكون التوثيق بذكر اسم المصدر مباشرة.

- الثانية: إذا كان المنقول غير نص (صياغة جديدة للكلام، أو استيعاب لمعناه) لا يوضع بين علامتي تنصيص، ويكون ذكر اسم المرجع مسبوقًا بكلمة: يراجع، أو يراجع في هذا.
٣- لم أترجم للأعلام الواردة في صلب البحث؛ قصدًا للإيجاز والاختصار، ولسهولة الوصول إليها، واستثنيت من ذلك الأعلام الواردة في شيوخ وتلاميذ كل من الإمام ابن عطية والعلامة الشوكاني؛ حيث أحيل في الحاشية إلى أحد كتب التراجم إجمالًا (تراجع ترجمته في: .....).
٤- أذكر بيانات المرجع كاملة، في أول ورود له، وبعدها أقتصر على ذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة فقط.
٥- أقوم بالتعريف بالمصطلحات الضرورية من مصادرها، أول ورود لها في البحث.
٦- قد أذكر في الحاشية بعض التفصيلات، التي أراها مهمة لتوضيح ما أشير إليها إجمالًا في صلب البحث.

- تقسيم البحث:

يتألف البحث من مقدمة وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، تفصيلها كالآتي:
- المقدمة وتتضمن: حدود البحث، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.
- التمهيد: تعريفات ومداخل:
- المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث.
- المطلب الثاني: تعريف موجز بالإمام ابن عطية وكتابه.
- المطلب الثالث: تعريف موجز بالعلامة الشوكاني وكتابه.
- المبحث الأول: التعقبات المتعلقة بالمعنى والنظم.
المبحث الثاني: التعقبات المتعلقة بالوقف والابتداء.
- المبحث الثالث: التعقبات المتعلقة بإعراب القرآن.
- المبحث الرابع: التعقبات المتعلقة بالبحوث العقدية.
- الخاتمة: وتتضمن:
- أولًا: النتائج.
- ثانيًا: التوصيات.
- ثبت بالمراجع.

والحمد لله رب العالمين
وصلى الله تعالى وبارك على سيدنا محمد رسول الله الأعظم وعلى آله وصحبه وسلّم

التمهيد

تعريفات ومداخل

يدور محور البحث حول مصطلح التعقبات؛ مما يقتضي بيانه؛ وصولًا إلى توضيح المراد بعنوان البحث ومقصده، كما تقتضي منهجية البحث تعريفًا موجزًا بكل من الإمام ابن عطية والعلامة الشوكاني وكتاب كلٍ؛ وهذا ما أحاول تناوله بإيجاز في المطالب الآتية:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث:

- أولًا: التعريف بالتعقبات:

التعقبات في اللغة: جمعٌ، واحدها (التعقب)، وأصله: تأخير شيء وإتيانه بعد غيره، وكل شيء يعقب شيئًا آخر فهو عقيبه، كالليل والنهار، وبناءً على هذا الأصل يقالُ: استعقبتُ الرجل وتعقبته؛ إذا طلبت عورته وعثرته، وتعقبتُ ما صنع فلان؛ تتبعت أثره، ويراد بذلك: تدبر الأمر أو النظر فيه مرة بعد مرة؛ لبيان ما فيه من الغلط، أو الحكم عليه بعد حكم سابق، ويكون في جانبي الحس والمعنى؛ يقال: لم أجد عن قولك معقّبًا، أي متفحّصًا، يعني أنه من السداد والصحة، بحيث لا يحتاج إلى تعقب، وتعقّبتُ الخبر: إذا سألت غير من كنت سألته أول مرة (١).

واستُعملت مادة التعقب ومشتقاتها في القرآن الكريم بمعنى الرجوع والالتفات؛ في قوله تعالى:**وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ** النَّمل: (١٠)، وبمعنى الاتباع والتخالف على الشيء نفسه، في قوله تعالى: **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن**

١- يراجع: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (بيروت: دار ومكتبة الهلال، الأولى، د.ت) [مادة: ع ق ب] (١٧٩/١)؛ وتهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى، ٢٠٠١م) [مادة: ع ق ب] (١٨٥/١)؛ ومعجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) [مادة: ع ق ب] (٧٧/٤)؛ والمفردات في غريب القرآن، أبو الحسين الراغب الأصفهاني (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) [مادة: ع ق ب] (ص: ٥٧٥)؛ وأساس البلاغة، أبو القاسم الزمخشري (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) [مادة: ع ق ب] (٦٦٧/١)؛ وتاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (الكويت: دار الهداية، الأولى، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م) [مادة: ع ق ب] (٤١٠/٧، ٤١١)؛ ومعجم اللغة العربية المعاصرة، أ.د أحمد مختار عمر (بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م) [مادة: ع ق ب] (١٥٢٤/٢).

بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ الرَّعْد:(١١) ؛ والمراد بالمعقبات الملائكة الحفظة، وسموا بذلك؛ إما لأجل أن ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار والعكس، وإما لأجل أنهم يتعقبون أعمال العباد، ويتتبعونها بالحفظ والكَتب، كما استعملت المادة بمعنى النقض والإبطال والمعارضة والرد والتغيير؛ في قوله تعالى: وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ الرَّعْد:(٤١) (١).

والتعقيب في الاصطلاح العام قريب جدا من مدلوله اللغوي، يشير إلى ذلك قول العلامة المناوي -رحمه الله- في تعريفه: " أن يؤتى بشيء بعد آخر، يقال: عقب الفرس في عدوه" (٢).

وقد استعمل المفسرون التعقب في كتبهم، بمعنى: تتبع المفسر أقوال غيره من العلماء بنقدٍ أو استدراك أو إضافة، وفق الأصول العلمية والموضوعية لعلم التفسير (٣).

قال الإمام أبو حيان -رحمه الله-: " والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله، وحقيقته الذي يعقبه أي: بالرد والإبطال، ومنه قيل لصاحب الحق: معقب؛ لأنه

١- يراجع: معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (القاهرة: المصرية للتأليف والترجمة، الأولى، د.ت) (٦٦/٢) و(٢٨٧/٢)؛ والتَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (الرياض: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الأولى، ١٤٣٠ هـ) (٣٨٤/١٢، ٣٨٥) و(١٧٢/١٧)؛ ومفاتيح الغيب، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الثالثة،١٤٢٠هـ) (١٩/ ١٧)؛ والإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية، أبو الربيع نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الطوفي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م) (ص: ٣٥٨)؛ تفسير التحرير والتنوير، العلامة محمد الطاهر المعروف بابن عاشور (تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م) (١٠٠/١٣)؛ والمعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، أ.د أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل (الرياض: مؤسسة سطور المعرفة، الأولى، ١٤٢٣هت–٢٠٠٢م) (ص: ٣٢١).

٢- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي (القاهرة: عالم الكتب، الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م) (ص: ١٠٢).

٣- يراجع: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية الأندلسي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٢هـ) (٤٢٧/١) (٥٣٣/٢) (٥٩/٤)؛ والبحر المحيط في التفسير، أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠ هـ) (٥/ ٣٦٨)؛ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف ابن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (دمشق: دار القلم، د.ط.ت) (١٩٩/٥) (٥٤٥/٨).

يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب، ...، وقيل: تُتعقَب أحكامه أي: ينظر في أعقابها أمصيبة هي أم لا ؟ " (١).

وهكذا لا يبعد معنى التعقبات المقصود في عنوان البحث كثيرًا عن دائرة أصله اللغوي، واستعمالاته في القرآن الكريم.

- ثانيًا: التعريف الإجرائي بعنوان البحث:

من خلال ما سبق يمكن صياغة تعريف إجرائي بعنوان البحث، وهو: جمع تتبعات العلامة الشوكاني في تفسيره فتح القدير بالنقد أو الاستدراك أو الإضافة، للأقوال التي أضافها للإمام ابن عطية، ودراستها دراسة تقييمة، في ضوء أصول التفسير وقواعده.

١- البحر المحيط في التفسير (٦/ ٤٠١).

المطلب الثاني: تعريف موجز بالإمام ابن عطية وتفسيره:

كنت أود الاستغناء عن هذين المطلبين؛ قصدًا للإيجاز، لكن منهجية البحث أبت إلا أن أجمع أهم المعالم المتعلقة بشخصية الإمامين الكبيرين وكتابيهما، وقد أشرت آنفًا إلى أن لكل من الإمامين ابن عطية والشوكاني مكانة كبيرة في العلوم، وفي صدارتها علم التفسير، وها هو بعض التفصيل لذلك:

- أولًا: تعريف موجز بالإمام ابن عطية:

- اسمه ونسبه وكنيته ونسبته:

هو الإمام عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عبد الله ابن تمام بن عطية بن مالك بن عطية بن خالد بن خفاف بن غالب بن عطية، وكنيته أبو محمد،و(المحاربي)نسبةً إلى محارب بن خَصَفة،من قيس عيلان،من مضر (١).

- مولده ونشأته:

وُلد الإمام ابن عطية عام إحدى وثمانين وأربعمائة للهجرة، في وادي آش (٢) من قرى غرناطـة (٣)، وكانت موطن جده وأسرته (٤).

---

١ – يراجع: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (القاهرة: دار الكاتب العربي، د.ط، ١٩٦٧ م) (ص: ٣٨٩)؛ والمعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن أبي بكر القضاعي البلنسي المعروف بابن الأبار (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م) (ص: ٢٦٣)؛ واللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري (بيروت: دار صادر، د.ط.ت) (١٧١/٣)؛ والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري، المعروف بابن فرحون (القاهرة: دار التراث للطبع والنشر، د.ط.ت) (٥٧/٢). وقيس عيلان هو: قيس ابن إلياس بن مضر، ومضر: هو ابن نزار بن معد بن عدنان، وينتهي نسبهما إلى سيدنا إسماعيل بن سيدنا إبراهيم –عليهما السلام–. يراجع: جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (بيروت: دار الفكر، الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م) (٣١/١-٢٣).

٢ – مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة، ينحط نهرها من جبل شلير (جبل الثلج)، وبينها وبين مدينة غرناطة أربعون ميلا، وحاليًا هي بلدية تقع في مقاطعة غرناطة، التابعة لمنطقة أندلوسيا، جنوب مملكة إسبانيا. يراجع: معجم البلدان، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (بيروت: دار صادر، الثانية، ١٩٩٥م) (١٩٨/١)؛ وموقع ويكبيديا: https://cutt.us/zaMd9.

٣ – بفتح أوله، وسكون ثانيه، ومعناها: رمّانة بلسان الأندلس؛ سمّيت بذلك لحسنها، وهي حاليًا عاصمة إحدى مقاطعات دولة إسبانيا، ذاتية الحكم، وتقع عند سفح جبال الثلج، عند التقاء أربعة أنهار، من معالمها قصر الحمراء المشهور. يراجع: معجم البلدان(١٩٥/٤)؛ وموقع ويكبيديا: https://cutt.us/FKVVg.

٤ – يراجع: بغية الملتمس (ص: ٣٨٩)؛ والمعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص: ٢٦٣)؛ وأعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، إسماعيل بن يوسف بن محمد بن نصر الخزرجي الأنصاري النصري، أبو الوليد، المعروف بابن الأحمر (بيروت: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦ م) (حاشية ص: ١٣٧).

وقد نشأ -رحمه الله – في كنف بيت عُرف واشتهر بعراقته في العلم؛ فوالده الإمام، الحافظ، أبو بكر، غالب بن عبد الرَّحمن بن غالب بن تمام بن عَطِيَّة، كان حافظًا للحديث وطرُقِهِ وعِلله،عارفًا بأسماء رجاله ونَقلَته، ذاكرًا لمتونه ومعانيه (١).

- حياته العلمية ومكانته:

كان من عناية والد الإمام ابن عطية بولده أن ألحقه بطلب العلم منذ صغره، وكان يتوقد ذكاءً، حتى ذاع صيته في شتى العلوم والمعارف؛ فقد كان فقيها، عارفا بالأحكام، والحديث، والتفسير، بارع الأدب، بصيرا بلسان العرب، ذا ضبط وتقييد، وتحر، وتجويد، وذهن سيال، وفكر إلى موارد المشكل ميال (٢).

قال ابن بشكوال -رحمه الله-: " وكان واسع المعرفة قوي الأدب، متفننا في العلوم. أخذ الناس عنه" (٣).

وقال الذهبي – رحمه الله-: " وكان إماما في الفقه، وفي التفسير، وفي العربية، قوي المشاركة، ذكيا فطنا مدركا، من أوعية العلم" (٤).

- شيوخه:

تلقى الإمام ابن عطية العلوم، وروى عن عدد من الشيوخ (٥)، منهم:

- والده المحدث أبو بكر غالب (٦).
- الحافظ أبو علي الحسين بن محمد الغساني (٧).
- الحافظ أبو علي الحسين بن محمد الصدفي (٨).
-المحدّث أبو عبد الله بن محمد بن الفرج الطلاعي (٩).

---

١ – يراجع: المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص: ٢٦٣)؛ وطبقات علماء الحديث، أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عبد الهادي الدمشقي الصالحي (بيروت: مؤسسة الرسالة، الثانية، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م) (٤٠/٤، ٤١).

٢ – يراجع: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (بيروت: دار الغرب الإسلامي، الأولى، ٢٠٠٣ م) (٧٨٧/١١)؛ و سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان بن قَايْماز الذهبي (بيروت: مؤسسة الرسالة، الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) (٤٠٢/١٤).

٣ – الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (القاهرة: مكتبة الخانجي، الثانية، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م) (ص: ٣٦٧، ٣٦٨).

٤ – سير أعلام النبلاء (٤٠١/١٤).

٥ – يراجع: بغية الملتمس (ص: ٣٨٩)؛ والمعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص: ٢٦٣)؛ وتاريخ الإسلام للذهبي (٧٨٧/١١)؛ وسير أعلام النبلاء (٤٠١/١٤).

٦ – يراجع ترجمته في: طبقات علماء الحديث (٤٠/٤، ٤١).

٧ – تراجع ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٤٨/١٩).

٨ – تراجع ترجمته في: تاريخ الإسلام (٢١٨/١١).

٩ – تراجع ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٩٩/١٩).

- أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عَتَّاب القرطبي (١).
- أبو بحر سفيان بن العاص بن أحمد الأسدي (٢).
- أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المعروف بابن الباذش (٣).
- أبو الحسين يحيى بن إبراهيم بن أبي زيد، المعروف بابن البياز (٤).

- تلاميذه:

أفاد من علوم الإمام ابن عطية جماعة من أكابر العلماء والفقهاء (٥)، منهم:

- الفقيه الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف الأنصاري المزني المعروف بابن حبيش (٦).
- القاضي أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن محمد المعروف بن مضاء (٧).
- الفقيه أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الملك بن أبي جمرة (٨).
- الإمام أبو محمد عبد المنعم بن محمد الأنصاري، المعروف بابن الفرس(٩).
- المقرئ أبو جعفر محمد بن حكم الجذامي (١٠).

- حياته العملية:

جمع الله تعالى للإمام ابن عطية بين تعليم العلم وتدريسه، وبين القضاء، وأنعم عليه بالإحسان والسبق في كلٍ منهما؛ فقد انتفع به خلق كثيرٌ من العلماء – كما مر-، وولي قضاء مدينة المرية (١)، في دولة المرابطين، سنة تسع وعشرين وخمسمائة، (٢).

---

١ – تراجع ترجمته في: المرجع السابق (٥١٤/١٩).

٢ – تراجع ترجمته في: تاريخ الإسلام (٣١٧/١١).

٣ – تراجع ترجمته في: بغية الملتمس (ص: ٤١٩).

٤ – تراجع ترجمته في: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ابن قَايْماز الذهبي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م) (ص: ٢٥١).

٥ – يراجع: تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، أبو حامد جمال الدين محمد بن علي ابن محمود، المحمودي، المعروف بابن الصابوني (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط.ت) (ص: ٤٢)؛ وتاريخ الإسلام للذهبي (٧٨٧/١١)؛ والإحاطة في أخبار غرناطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٤ هـ) (٤١٤/٣).

٦ – تراجع ترجمته في: بغية الملتمس (ص: ٣٥٧، ٣٥٨).

٧ – تراجع ترجمته في: تاريخ الإسلام (٩٧١/١٢).

٨ – تراجع ترجمته في: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (بيروت: دار العلم للملايين، الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م) (٣١٩/٥).

٩ – تراجع ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٣٦٤/٢١، ٣٦٥).

١٠ – تراجع ترجمته في: الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٥١، ٥٢).

يقول لسان الدين ابن الخطيب: " كان عبد الحق فقيهًا، عالمًا بالتفسير والأحكام والحديث والفقه، والنحو والأدب واللغة، مقيّدًا حسن التّقييد، له نظم ونثر، ولّي القضاء بمدينة ألمريّة، في المحرم، سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وكان غاية في الدّهاء والذكاء، والتّهمّم بالعلم، سريّ الهمّة في اقتناء الكتب، توخّى الحق، وعدل في الحكم، وأعزّ الخطّة [خطة القضاء]" (٣).

- آثاره ومؤلفاته:

أثرى الإمام ابن عطية التراث الإسلامي بمصنفات ماتعة نافعة؛ أشهرها:

- تفسيره(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)،وقد انتفع به الناس،وذاعت شهرته، حتى قيل:لو لم يكن له من التآليف غيره لكفى(٤)،وهو مطبوعٌ،ومقدَّمٌ بين كتب التفسير(٥).

وقد رجح أحد الباحثين أن هذا الاسم لتفسير الإمام ابن عطية ليس من وضع مؤلفه، ولعله أُخذ من معنى كلامه في المقدمة، حيث يقول: " وقصدت فيه أن يكون جامعا وجيزا محررا" (٦).

- برنامج ضمنه مروياته وأسماء شيوخه، وطُبع باسم (فهرس ابن عطية) (٧).

=

١ – بالفتح ثم الكسر، وتشديد الياء بنقطتين من تحتها، وهي مدينة كبيرة من مدن الأندلس، أمر ببنائها أمير المؤمنين، الناصر لدين الله، عبد الرحمن بن محمد سنة ٣٤٤ هـ، تقع حاليًا في جنوب شرق إسبانيا على البحر المتوسط. يراجع: معجم البلدان (٥/ ١١٩)؛ وصفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (بيروت: دار الجيل، الثانية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) (ص: ١٨٣)؛ وموقع ويكبيديا: https://cutt.us/USpFr.

٢ – يراجع: تاريخ الإسلام للذهبي (٧٨٧/١١)؛ وسير أعلام النبلاء (٤٠٢/١٤)؛ وتاريخ قضاة الأندلس، أبو الحسن علي ابن عبد الله بن محمد بن محمد الجذامي النباهي المالقي الأندلسي (بيروت: دار الآفاق الجديدة، الخامسة، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م) (ص: ١٠٩).

٣ – الإحاطة في أخبار غرناطة (٤١٢/٣)، ويراجع: مقدمة تحقيق كتاب فهرس ابن عطية، أبو محمد عبد الحق ابن غالب الأندلسي (بيروت: دار الغرب الإسلامي، الثانية، ١٩٨٣ م) (ص: ١٤).

٤ – يراجع: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك ابن عبد الله الصفدي (بيروت: دار إحياء التراث، د.ط، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م) (٤١/١٨)؛ الإحاطة في أخبار غرناطة (٤١٢/٣).

٥ – يراجع: البحر المحيط في التفسير (٢٠/١).

٦ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣٤)؛ ومنهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، أ.د عبد الوهاب فايد (القاهرة: الهيئة العامة للمطابع الأميرية، الأولى، ١٣٩٣هـ–١٩٧٣م) (ص: ٨٢، ٨٣)

٧ – يراجع: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة (بغداد: مكتبة المثنى، د.ط، ١٩٤١م) (١٦١٣/٢)؛ ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة (بيروت: مكتبة المثني– دار الكتب العلمية، الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م) (٩٣/٥).

- وفاته:

توفي الإمام ابن عطية بمدينة لورقة (١)، في منتصف رمضان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة للهجرة، وحكي أنه توفي سنة اثنتين وأربعين، والأول هو الصحيح (٢).

- ثانيًا: تعريف موجز بتفسير الإمام ابن عطية:

يعتبر تفسير (المحرر الوجيز) أحد أمهات كتب التفسير، وهو غني عن التعريف؛ لهذا أقتصر على ذكر أهم معالمه المتعلقة بمنهجه في التفسير، وهي:

- جمعه بين التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي المحمود.

- اهتمامه باللغة وتوظيفها في خدمة التفسير؛ حيث يكثر من الاستشهاد بالشعر العربي، ويعتني بالشواهد الأدبية للعبارات، ويحتكم إلى اللغة العربية عندما يُوجه بعض المعاني، وهو أيضًا كثير الاهتمام بالصناعة النحوية (٣).

- عنايته بالقراءات بصورة عامة، وبيان ما تحتمله من المعاني، على حد قوله في مقدمة التفسير: " وقصدت إيراد جميع القراءات: مستعملها وشاذها، واعتمدت تبيين المعاني وجميع محتملات الألفاظ، كل ذلك بحسب جهدي وما انتهى إليه علمي، وعلى غاية من الإيجاز وحذف فضول القول" (٤).

- الاهتمام بعرض الأحكام الفقهية،دون تعصبٍ لمذهبه، مع عنايةٍ بمناقشة الأقوال(حال تعددها)والترجيح بينها، وغالبًا ما يذكر رأي المالكية،وأحيانًا يذكر آراء المذاهب الأخرى(٥).

- الحيطة في الأخذ بالإسرائيليات، والإقلال من ذكرها، واختصارها حال ذكرها، ونعيه على المفسرين المكثرين منها، وإن أوردها فلغرض محدد يعبر عنه قوله: "لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به" (٦).

---

١ – بالضم ثم السكون، والراء مفتوحة والقاف، مدينة بالأندلس، عرفت بالحصون والحدائق والفواكه والخيرات، وحاليًا بلدية تقع جنوب شرق إسبانيا. يراجع: معجم البلدان (٥/ ٢٥)؛ وموقع ويكيبيديا: https://cutt.us/bjjQN.

٢ – يراجع: معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص: ٢٦٥)؛ وطبقات علماء الحديث (٤٢/٤)؛ وتاريخ الإسلام للذهبي (٧٨٧/١١)؛ وسير أعلام النبلاء (٧٦/٢٠)؛ وفوات الوفيات، صلاح الدين محمد بن شاكر ابن أحمد (بيروت: دار صادر، الأولى، ١٩٧٣-١٩٧٤م) (٢٥٦/٢)؛ والوافي بالوفيات(٤١/١٨).

٣ – يراجع: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣٤)؛ والتفسير والمفسرون، أ.د محمد حسين الذهبي (القاهرة: مكتبة وهبة، السابعة، ٢٠٠٠م) (١٧٢/١)؛ ومنهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم (ص: ١٣٠، ١٤٧ وما بعدها)

٤ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣٤). ويراجع: منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم (ص: ١٦٠).

٥ – يراجع: منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم (ص: ١٦٠).

٦ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣٤). ويراجع: منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم (ص: ١٨١، ١٨٢).

- غلبة طابع الإيجاز والسهولة على أسلوب الكتاب وطريقة عرض مضامينه؛ حيث يفسر الآيات بعبارة عذبة سهلة (١).

- حضور المنهج النقدي في الكتاب؛ من خلال تعقبات الإمام ابن عطية لأقوال من نقل عنهم من المفسرين، كالإمام ابن جرير الطبري – رحمه الله- (٢).

وفي ختام هذا المطلب أشير إلى اتهام ابن عطية بالاعتزال، من قبل ابن تيمية (٣)، وابن حجر الهيثمي(٤) – رحمهما الله-، ومتابعة العلامة الذهبي (٥) لهما في ذلك.

وخلاصة الأمر: أنه مجرد اتهام لا دليل عليه، بل إن واقع تفسيره ومحتواه يشهدان ببراءته؛ حيث إنه مالكي المذهب، وثمت تلازم في الأغلب بين مذهب المالكية وطريقة الإمام أبي الحسن الأشعري -رحمه الله- في تقرير عقائد أهل السنة، بالإضافة إلى إيراده أقوال الإمام أبي الحسن الأشعري -رحمه الله- وأعلام الأشاعرة، كالباقلاني والجويني -رحمهما الله- في تفسيره (٦)، على جهة التقرير لها، والاستناد لها، كما أن من جاء بعده من المفسرين ممن تعقب بعض أقواله لم يتهموه بذلك، يضاف إلى ما سبق أقوالُه في عدد من المسائل الفارقة بين طريقتي أهل السنة والمعتزلة (كمسألة صفة الكلام – ورؤية الله تعالى) (٧)، ورده في بعض الأحيان آراء المعتزلة عمومًا، أو بعضهم، كأبي علي الفارسي؛ مثلًا (٨)؛ لهذا يعتبر اتهامًا مرفوضًا من جهتي الشكل والموضوع (٩).

المطلب الثالث: تعريف موجز بالعلامة الشوكاني وتفسيره:

- أولًا: تعريف موجز بالعلامة الشوكاني:

- اسمه ونسبه وكنيته ونسبته:

---

١ – يراجع: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣٤)؛ والتفسير والمفسرون (١٧٢/١).

٢ – يراجع: التفسير والمفسرون (١٧٢/١).

٣ – يراجع: مجموع الفتاوى، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م) (٣٦١/١٣)؛ ومقدمة في أصول التفسير، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (بيروت: دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، ١٤٩٠هـ- ١٩٨٠م) (ص: ٣٧).

٤ – يراجع: التفسير والمفسرون (١٧٣/١).

٥ – يراجع: الفتاوى الحديثية، شيخ الإسلام، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري (بيروت: دار الفكر، د ط.ت) (ص: ١٧٣).

٦ – يراجع: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣٩٣)، (٤٥١/٢)، (٢٠٠/١).

٧ – يراجع: المرجع السابق (١٣٧/٢)، (٣٣٠/٢).

٨ – يراجع: المرجع السابق (١١٢/١)، (١٢٠/١).

٩ – يراجع في رد هذا الادعاء بصورة مفصلة: منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم (ص: ٢١٩-٢٦٢).

هو العلامة مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني، ثمَّ الصنعاني، وكنيته أبو محمد، و(الشوكاني) نسبةً إلى محل مولده وأصل أسرته (هجرة شوكان) (١).

- مولده ونشأته:

وُلد العلامة الشوكاني - رحمه الله - فِي وسط نَهَار يَوْم الِاثْنَيْنِ، الثَّامِن وَالْعِشْرين، من شهر ذي الْقعدَة، سنة ثَلَاث وَسبعين وَمِائَة وألف، بهِجْرَة شوكان (٢).

- حياته العلمية ومكانته:

كانت نشأة العلامة الشوكاني – رحمه الله – العلمية بمدينة صَنْعَاء (٣)، حيث بدأ رحلته العلمية بقراءة القرآن الكريم وختمه، ثمَّ شرع في حفظ جمع من الكتب المعتبرة في فروع علوم الشريعة والعربية والعلوم العقلية، وذكرها -رحمه الله- في ترجمته لنفسه (٤).

- شيوخه:

تلقى العلامة الشوكاني علومه النقلية والعقلية،عن عدد من الشيوخ والعلماء(٥)، وأقتصر على من ذكرهم -رحمه الله- أثناء ترجمته لنفسه، وهم السادة:

- أَحْمد بن عَامر الحدائي (٦).
- أَحْمد بن مُحَمَّد الحرازي (٧).
- إِسْمَاعِيل بن الْحسن بن أَحْمد (٨).
- الْحسن بن إِسْمَاعِيل المغربي (٩).
- عبد الرَّحْمَن بن حسن الْأَكْوَع (١٠).
- عبد الرَّحْمَن بن قَاسم المداني (١).

---

١ – بالفتح ثم السكون، وكاف، وبعد الألف نون، قرية باليمن من ناحية ذمار، وحاليًا: هي إحدى قرى الجمهورية اليمنية، تتبع جغرافيا لمحافظة تعز وإداريًا لمديرية ماوية. يراجع: معجم البلدان (٣/ ٣٧٣)؛ وموقع ويكيبديا: https://cutt.us/gBHUV. ويراجع: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد ابن عبد الله الشوكاني (بيروت: دار المعرفة، د.ط.ت) (٢/ ٢١٤).

٢ – يراجع: البدر الطالع (٢/ ٢١٥).

٣ – هي العاصمة السياسية لجمهورية اليمن، وتعتبر واحدةً من أقدم المدن المأهولة باستمرار، لها تاريخ من القرن الخامس قبل الميلاد على الأقل، تقع في وسط البلاد، في منطقة جبلية عالية، على جبال السروات. يراجع: موقع ويكيبديا: https://cutt.us/xpHXD.

٤ – يراجع: البدر الطالع (٢/ ٢١٥).

٥ – يراجع: البدر الطالع (٢/ ٢١٨–٢١٥).

٦ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (٦٢/١).

٧ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (٩٦/١).

٨ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (١٤٥/١).

٩ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (١٩٥/١).

١٠ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (٣٣٥/١).

- عبد الْقَادِر بن أَحْمد الفاكهي (٢).
- عبد الله بن إِسْمَاعِيل النهمي (٣).
- على بْن إِبْرَاهِيم بن علي (٤).
- والده علي بن محمد الشوكاني (٥).
- علي بن هادي عرهب (٦).
- الْقَاسِم بن يحيى الْخَولَانِيّ (٧).
- هادي بن حُسَيْن القارني (٨).
- يحيى بن مُحَمَّد الحوثي (٩).
- تلاميذه:

أفاد من علوم العلامة الشوكاني جماعة من طلابه وتلاميذه (١٠)، منهم:

- أحمد بن عبدالله الضمدي (١١).
- أحمد بن علي بن محسن بن المتوكل (١٢).
- الحسن بن أحمد الضمدي (١٣).
- عبدالرحمن بن أحمد البهلكي (١٤).
- عبد الله بن محسن الحيمي الصنعاني (١٥).
- علي بن أحمد هاجر (١).

=

١ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (٣٣٦/١).

٢ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (٣٦٠/١).

٣ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (٣٧٩/١).

٤ – يراجع ترجمته في: البدر الطالع (٤١٦/١).

٥ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (٤٧٨/١).

٦ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (٤٩٩/١).

٧ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (٥٣/٢).

٨ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (٣١٩/٢).

٩ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (٣٤٤/٢).

١٠ – يراجع: نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر من هجرة سيد البشر ﷺ، محمد بن محمد ابن زبارة الصنعاني (اليمن: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، د.ط.ت) (٢٩٨/٢، ٢٩٩).

١١ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (١٣٥/١).

١٢ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (١٦٣/١).

١٣ – يراجع ترجمته في: نيل الوطر (٣١٤/١).

١٤ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (٢٣/٢).

١٥ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (٩٥/٢).

- ولده علي بن محمد بن علي الشوكاني (٢).
- لطف الله بن أحمد الصنعاني (٣).
- محمد بن أحمد السودي الصنعاني (٤).
- محمد بن أحمد مشحم الصنعاني (٥).
- محمد بن حسن الشجني الذماري (٦).
- محمد بن محمد بن هاشم الصنعاني (٧).

- حياته العملية:

اشتغل العلامة الشوكاني بالتدريس والتعليم والتصنيف في صنوف من العلوم والمعارف، كما باشر العمل بالقضاء في صنعاء، وكذلك مارس الفتيا للناس بدون أجر(٨).

- آثاره ومؤلفاته:

أثرى العلامة الشوكاني المكتبة الإسلامية بالعديد من المصنفات النافعة، ما بين كتب مطولة ورسائل مختصرة؛ منها:

- إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر.
- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول.
- الأبحاث الوضية في الكلام على حديث حب الدنيا رأس كل خطية.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع.
- بغية الأريب من مغني اللبيب.
- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين.
- التحف في مذاهب السلف.
- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد.
- الدرر البهية في المسائل الفقهية.

=

١ – تراجع ترجمته في: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، أبو الطيب محمد صديق خان الحسيني البخاري القِنَّوجي (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م) (ص: ٣٩٦).

٢ – تراجع ترجمته في: نيل الوطر (١٢٢/٢).

٣ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (١٨٩/٢).

٤ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (٢٢١/٢).

٥ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (٢٣٥/٢).

٦ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (٢٥٧/٢).

٧ – يراجع ترجمته في: المرجع السابق (٣١٥/٢).

٨ – يراجع: البدر الطالع (٤٦٤/١)، (٢١٩/٢)؛ ونيل الوطر (٢٩٨/٢).

- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار.
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير.
- نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار (١).

- وفاته:

توفي العلامة الشوكاني بمدينة صنعاء، في جمادى الآخرة، سنة خمسين بعد المائتين وألف من الهجرة، ودفن بها (٢).

ثانيًا: تعريف موجز بتفسير العلامة الشوكاني:

يعتبر تفسير (فتح القدير) أحد كتب التفسير المتأخرة، وهو مشتهر أمره بين الدارسين؛ لذا أقتصر على ذكر أهم معالمه، وموجز عن منهجه في التفسير، وهي:

- جمعه بين التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي؛ كما يفهم من عنوان الكتاب، حيث يذكر الآيات، ثم يفسِّرها تفسيراً معقولاً ومقبولاً، ثم يذكر بعد الفراغ من ذلك الروايات التفسيرية الواردة فيها (٣).

- اعتماده النقل عمن سبقه من المفسرين، كالطبري والزمخشري وابن عطية والقرطبي وأبي حيان وابن كثير والسيوطي، مع التعرض للترجيح بين التفاسير المتعارضة، والتعقب أحيانًا لمن سبقه من المفسرين (٤).

- ذكره للمناسبات بين الآيات، رغم ما يظهر من موقفه من المناسبات في أوائل تفسير سورة البقرة (٥).

- تعرضه للقراءات السبع، وبيان وجه القراءة أحيانًا.

- عنايته بعرض المذاهب الفقهية، وذكر اختلافات الفقهاء وأدلتهم، مع الترجيح.

- احتكامه إلى اللُّغة كثيراً،ونقله عن أئمتها، كالمبرد وأبى عبيدة والفرَّاء وغيرهم.

- حمله كل ما ورد في القرآن من ألفاظ توهم التشبيه على ظاهرها، مع تفويض الكيف إلى الله، ويحمل على من خالفه في ذلك من المفسرين (٦).

- مخالفته الواضحة للمعتزلة وآرائهم في كثير من المواقف، على الرغم من تأثر الزيدية بالمعتزلة، وتأثرهم بهم في العقيدة (١).

---

١ – يراجع: البدر الطالع (٢/٢٢١–٢١٩)؛ ونيل الوطر (٢/٢٩٩)؛ والأعلام (٦/٢٩٨)؛ ومعجم المؤلفين (١١/٥٣).

٢ – يراجع: نيل الوطر (٢/٣٠٢).

٣ – يراجع: فتح القدير (١/١٤)؛ والتفسير والمفسرون (٢/٢١٣).

٤ – يراجع: فتح القدير (١/١٤)؛ والتفسير والمفسرون (٢/٢١٣)؛ والإمام الشوكاني مفسرًا، محمد حسن أحمد الغماري (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، كلية الشريعة، رسالة دكتوراه،١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م) (ص: ١١٦–١١٨).

٥ – يراجع: فتح القدير (١/٨٧–٨٥)؛ والتفسير والمفسرون (٢/٢١٣).

٦ – يراجع: التفسير والمفسرون (٢/٢١٨–٢١٣).

- مخالفته لقول كل من أهل السنة والمعتزلة في مناقشة قضية خلق القرآن، حيث اختار التوقف في المسألة، وعدم الخوض فيها؛ تأسيًا بفعل الصحابة -رضوان الله عليهم- (٢).
- غلبة طابع الإيجاز والاختصار على أسلوب الكتاب غالبًا، كما قصد مؤلفه وأشار إلى ذلك (٣).

وقد أخذ العلامة الذهبي على العلامة الشوكاني مأخذين:

- الأول: أنه يذكر كثيراً من الروايات الموضوعة، أو الضعيفة، ويمر عليها بدون أن ينبه عليها.
- الثاني: ذمه للتقليد والمقلدين بصورة مطلقة، فلا يكاد يمر بآية من القرآن تنعى على المشركين تقليدهم آباءهم، إلا ويطبقها على مقلدي أئمة المذاهب الفقهية، ويرميهم بأنهم تاركون لكتاب الله، مُعْرِضون عن سُنَّة رسوله ﷺ (٤).

وفي ختام هذا المطلب ألخص ما وقفت عليه من موقف العلامة الشوكاني من أقوال الإمام ابن عطية التي يذكرها في تفسير نقلًا عنه:

- أولًا: أن ينقل عن الإمام ابن عطية قوله دون تعقب؛ مما يعني تقريره (٥).
- ثانيًا: أن ينقل عنه مروياته التي أوردها من أقوال السلف، ويغلب ذلك على أقوال الإمام مالك وأصحابه -رحمهم الله- (٦).
- ثالثًا: أن ينقل عنه تعقبه لقول ما، أو ترجيحه لقول، أو حكمه على قول ما بأنه خطأ أو صواب (٧).
- رابعًا: أن ينقل تعقب غيره من المفسرين السابقين لقول للإمام ابن عطية أو اختيار (٨).

المبحث الأول

التعقبات المتعلقة بالمعنى والنظم

=

١ – يراجع: فتح القدير (١٠٣/١)؛ والتفسير والمفسرون (٢١٩/٢).

٢ – يراجع: فتح القدير (٤٦٩/٣)؛ والتفسير والمفسرون (٢٢٠/٢، ٢٢١).

٣ – يراجع: فتح القدير (١٥/١).

٤ – يراجع: فتح القدير (٦١/٢)، (٢٢٦/٢)؛ والتفسير والمفسرون (٢١٣/٢، ٢١٤).

٥ – يراجع: فتح القدير (٢٣٢/١)، (٢٨٨/١)، و(٣٠٣/١، ٣٠٤).

٦ – يراجع: المرجع السابق (٢٨٢/١).

٧ – يراجع: المرجع السابق (١٣٨/١)، (١٦٥/١)، (١٦٩/١)، (١٨٧/١)، (٣٤٤/١).

٨ – يراجع: المرجع السابق (١٠٣/١).

نقل العلامة الشوكاني عن الإمام ابن عطية أقوالًا متعددة تتعلق بمعاني الآيات ونظمها (١)، وتعقب ثلاثةً منها، أتناول كلًا منها في مطلب، وفق ترتيب المصحف، على النحو الآتي:

المطلب الأول: في المراد بـ ٱلسَّلۡوَىٰۖ في قوله تعالى: وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ البَقَرَة : ٥٧:

- قول الإمام ابن عطية:

اختار الإمام ابن عطية أن المراد بالسلوى في قوله تعالى:وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ البَقَرَة: طير، ومستنده في هذا الاختيار ما ذكره من إجماع المفسرين؛ ولذا حكم على خالد بن زهير الهذلي بالغلط في استعماله السلوى بمعنى العسل.

قال الإمام ابن عطية: " وَالسَّلْوى طير، بإجماع من المفسرين، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس، وغيرهم، قيل: هو السمانى بعينه، وقيل: طائر يميل إلى الحمرة، مثل السمانى، وقيل: طائر مثل الحمام تحشره عليهم الجنوب،...، وقد غلط الهذلي (٢) فقال:

وقاسمها بالله عهدًا لأنتم ألذّ من السلوى إذا ما نشورها

ظن السلوى العسل" (٣).

- تعقب العلامة الشوكاني:

أردف العلامة الشوكاني قول الإمام ابن عطية من كون المراد بالسلوى طيرًا بذكر تعقب الإمام الطبري لابن عطية بأن ما ادعاه من الإجماع لا يصح؛ واستند في ذلك أيضًا على استعمال علماء اللغة السلوى بمعنى العسل، وكونها لغةً في اللفظة، ووردها في الشعر.

قال العلامة الشوكاني: ".. قال القرطبي: ما ادعاه من الإجماع لا يصح، وقد قال المؤرج -أحد علماء اللغة والتفسير-: إنه العسل، واستدل ببيت الهذلي، وذكر أنه كذلك بلغة كنانة، وأنشد:

لو شربت السلوى ما سلوت ما بي غنى عنك وإن غنيت " (٤).

- الدراسة:

---

١ – يمكن تلخيص مفهوم النظم بأنه: إدراك المفسر حسن اختيار ألفاظ القرآن، ودقة التأليف والتنسيق في التراكيب والصيغ؛ بصورة تبرز الأسرار والنكت في أسلوب القرآن، وتكشف الفروق المعنوية الدقيقة بين خصوصيات التراكيب، وتربط هذه الخصوصيات بالسياق والغرض. يراجع: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، أ.د/ محمد أبو موسى (القاهرة: دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط.ت) (ص: ١٨٩)؛ ودراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أ.د/ أحمد درويش (القاهرة: مكتبة الزهراء، الأولى، د.ت) (ص: ٣٦).

٢ –هو خالد بن زهير الهذلي. يراجع: حياة الحيوان الكبرى، أبو البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى ابن علي الدميري الشافعي (بيروت: دار الكتب العلمية، الثانية، ١٤٢٤ هـ) (٣٥/٢).

٣ – المحرر الوجيز (١٤٩/١).

٤ – فتح القدير (١٠٤/١)، والبيت من الرجز، لرؤبة. يراجع: البصائر والذخائر، أبو حيان علي بن محمد ابن العباس التوحيدي (بيروت: دار صادر – بيروت، الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) (١٧٠/٧).

للمفسرين في المراد بالسلوى في قوله تعالى: وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ قولان:

- القول الأول: أن السلوى طير، واختلفوا في تعيينه، فالأكثرون على أنه السماني، وقيل: طائر يشبه السماني، وقيل: هو نوع من طير الهند، وقيل غير ذلك، وهذا هو القول الأشهر(١).

- القول الثاني: أن السلوى هو العسل بلغة كنانة، وقد ورد ذلك قولًا تاليًا للقول الأول في بعض كتب التفسير(٢).

والواقع أن كلا القولين مبني على استعمال لغوي معروف؛ بدلالة ورود استعمال السلوى بمعنى العسل في عدد من كتب المعاجم (٣).

وبناءً على ما سبق يمكن الجمع بين القولين، على اعتبار أنهما من اختلاف التنوع، خاصةً أن بعض المصنفين في غريب القرآن والمعاجم ذكروا أن للسلوى استعمالين، استعمال في القرآن الكريم بمعنى(الطير)،واستعمال في غير القرآن بمعنى(العسل) (٤).

- الترجيح:

بعد عرض قولي المفسرين في المراد بالسلوى؛ أرجح اختيار الإمام ابن عطية -رحمه الله؛ بناءً على وجوه:

- الأول: أن للسلوى استعمالين، أولهما خاص بالقرآن، والثاني في غير القرآن، كما أشارت إلى ذلك معاجم اللغة، وعلى هذا يحمل ما ذكره ابن عطية -رحمه الله- من إجماع المفسرين؛ فلا داعي لتعقبه.

---

١ – يراجع: تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (القاهرة: دار الفكر الإسلامي الحديثة، الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م) (ص: ٢٠٣)؛ وتفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي، البصري ثم الإفريقي القيرواني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م) (٢٦٩/١)؛ ومعاني القرآن للفراء (٣٨/١)؛ ومجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ط، ١٣٨١هـ) (١/ ٤١)؛ وتفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، سنة ١٤١٩هـ) (٢٧١/١)؛ ومعاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (القاهرة: مكتبة الخانجي، الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م) (١٠١/١)؛ وجامع البيان (٩٦/٢)؛ و معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج (بيروت: دار عالم الكتب، الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م) (١٣٨/١)؛ وتأويلات أهل السنة (٤٦٧/١)؛ وبحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م) (٥٤/١)؛ والكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م) (٣١٩/٣)؛ والنكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، الشهير بالماوردي (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط.ت) (١/ ١٢٤)؛ والكشاف عن حقائق التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله (بيروت: دار الكتاب العربي، الثالثة – ١٤٠٧هـ). (١٤٢/١)؛ ومفاتيح الغيب (٥٢٢/٣).

٢ – يراجع: الكشف والبيان (٣١٩/٣)؛ والتفسير البسيط (٢/ ٥٤٨)؛ والجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي القرطبي (القاهرة: دار الكتب المصرية، الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م) (٤٠٧/١، ٤٠٨)؛ والدر المصون (٣٧٠/١).

٣ – يراجع: العين (٢٩٨/٧)؛ والمُنَجَّد في اللغة، أبو الحسن علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، الملقب بـ «كراع النمل» (القاهرة: عالم الكتب، الثانية، ١٩٨٨م) (ص: ٩٢)؛ وتهذيب اللغة (٤٨/١٣، ٤٩).

٤ – يراجع: ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرز الباوَرْدي، المعروف بغلام ثعلب (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م) (ص: ١٧٣)؛ ولسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على المعروف بابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (بيروت: دار صادر، الثالثة، ١٤١٤ هـ) (١٤/ ٣٩٥)؛ وتاج العروس (٣٨/ ٢٩٦).

- الثاني: أن استعمال السلوى بمعنى الطير استعمال حقيقي (بناءً على أصل الوضع)، بينما استعمالها بمعنى العسل استعمال مجازي (بناءً على الاشتقاق)؛ على سبيل الاستعارة؛ بدلالة ما ورد من أن العسل سمي سلوى؛ لأنه يسليك بحلاوته، وتأتيه عن غيره مما يلحقك فيه مؤونة الطبخ وغيره من أنواع الصناعة (١).

ولعل مما يؤيد هذا ما ورد في بعض الكتب من أن التعبير عن شرب السلوى وسقياها تعبير مجازي؛ فقد ذكروا أن قولهم: يا فلان لقد سقيتني السلوة من نفسك، يعني: لقد رأيت منك ما سلوت به عنك (٢).

ومما يؤيد هذا أيضًا أن البيت المذكور في تعقب العلامة الشوكاني (لو شربت السلوى ما سلوت) لم يرد بلفظ (السلوى) في غير تفسيره؛ وإنما ورد في غيره من المصادر بلفظ (السلوان)؛ وهذا مما يرجح أن استعماله في كليهما مجازي؛ بدلالة أن السلوان لم يفسر في تلك المصادر بالعسل ولا بالطير، وإنما فسر بغيرهما (٣).

- الثالث: أن القول بأن السلوى طير هو قول أكثر المفسرين، وأشهر القولين.

وهكذا يظهر عدم دقة هذا التعقب من كل من الإمام القرطبي والعلامة الشوكاني لقول الإمام ابن عطية ـ رحمهم الله تعالى-.

المطلب الثاني: في المشار إليه بقوله: مِثْلُ ذَٰلِكَ في قوله تعالى:

وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ البَقَرَة:(٢٣٣):

- قول الإمام ابن عطية:

اختار الإمام ابن عطية أن المشار إليه باسم الإشارة ذَٰلِكَ في الآية: نفي مضارة الوارث للوالدة بولدها؛ حملًا لاسم الإشارة على أقرب مذكور، وهو قوله تعالى: لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ البَقَرَة: (٢٣٣)، ومستنده في هذا الاختيار إجماع الأمة على نفي الضرر عن الوارث، وبقاء الخلاف حول الرزق والكسوة.

قال الإمام ابن عطية: " وقال مالك -رحمه الله- في المدونة، وجميع أصحابه، والشعبي أيضًا، والزهري، والضحاك، وجماعة من العلماء: المراد بقوله: مِثْلُ ذَٰلِكَ: أن

---

١ – يراجع: تاج العروس (٣٨/ ٢٩٦).

٢ – يراجع: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (القاهرة: دار المعارف، الخامسة، د.ت) (ص: ٧٣).

٣ – يراجع: العين (٢٩٧/٧)؛ ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٢٩/١)؛ وإصلاح المنطق، أبو يوسف يعقوب ابن إسحاق المعروف بابن السكيت (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م) (ص: ١٥٩)؛ والمنتخب من غريب كلام العرب، أبو الحسن علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، الملقب بـ «كراع النمل» (مكة المكرمة: جامعة أم القرى – معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، الأولى، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م) (ص: ٤١٤)؛ وجمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (بيروت: دار العلم للملايين، الأولى، ١٩٨٧م) (٨٦٠/٢)؛ ومعجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، د.ط، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م) (٦٧/٤)؛ وتهذيب اللغة (١٣/ ٤٨).

لا يضار، وأما الرزق والكسوة فلا شيء عليه منه، وروى ابن القاسم عن مالك أن الآية تضمنت أن الرزق والكسوة على الوارث، ثم نسخ ذلك. قال القاضي أبو محمد: فالإجماع من الأمة في أن لا يضار الوارث، والخلاف هل عليه رزق وكسوة أم لا ؟" (١)

- تعقب العلامة الشوكاني:

يفهم من السياق تضعيف العلامة الشوكاني القول الذي اختاره الإمام ابن عطية؛ مستندًا في ذلك على أن معنى (نفي مضارة الوارث للوالدة) مستفادٌ من قوله تعالى: لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا؛ فكأنه لا داعي لتكراره.

قال العلامة الشوكاني عقب نقله كلام الإمام ابن عطية: " ولا يخفى عليك ضعف ما ذهبت إليه هذه الطائفة، فإن ما خصصوا به معنى قوله: وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ من ذلك المعنى: أي: عدم الإضرار بالمرضعة، قد أفاده قوله: لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا؛ لصدق ذلك على كل مضارة ترد عليها من المولود له أو غيره. وأما قول القرطبي: لو أراد الجميع لقال: مثل هؤلاء، فلا يخفى ما فيه من الضعف البين، فإن اسم الإشارة يصلح للمتعدد كما يصلح للواحد بتأويل: المذكور أو نحوه" (٢).

---

١ – المحرر الوجيز (٣١٢/١).

٢ – فتح القدير (٢٨٢/١).

- الدراسة:

للمفسرين في المشار إليه في قوله تعالى: وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ أقوال:

- القول الأول: أن الإشارة إلى جميع ما تقدم، ولهذا القول وجهان من المعاني؛ بناءً على الخلاف في المراد بالوارث.

أحدهما: إذا أريد بالوارث (وارث المولود له أو وارث الصبي(١) ، يكون المعنى: على الوارث مثل الذي كان على المورث، من رزق الأم وكسوتها بالمعروف.

والثاني: أن يراد بالوارث (الصبي نفسه)، ويكون المعنى: أن الوارث عليه مثل الذي كان على المولود له، من رزق والدته وكسوتها بالمعروف (٢). ولا مانع في الوجهين من شمول ذلك نفي المضارة أيضًا.

ومستند هذا القول: أن الكلام الوارد في الآية كله معطوف بعضه على بعض بالواو، وهي تفيد الجمع؛ ولما كان الجميع (النفقة والكسوة والنهي لكل واحد منهما عن مضارة الآخر) مذكورًا في حال واحدة، كان العطف عليه بقوله تعالى: وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ موجبا على الوارث جميع المذكور(٣).

- القول الثاني: أن الإشارة راجعةٌ إلى النفقة والكسوة دون المضارة، وهو مبني على وجهين من الأدلة:

أحدهما: أن نظم الكلام إنما هو على قوله تعالى: وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ البَقَرَة:، فيكون نسقه على حرف (على) أولى من نسقه على حرف (لا) ليصح، إذ لو حمل على قوله تعالى: لَا تُضَآرَّ المستأنف لكان ما يوازيه من الكلام: (الوارث مثل ذلك)، على جهة الاستئناف أيضًا.

والثاني: أنه لو حمل على إضرار من الوارث بالولد في الميراث لقال: وعلى المورث بحق الميراث، فلا ضرر يقع فيه، بل يقع في الإنفاق؛ فثبت أن حمله عليه أحق (٤).

- القول الثالث: أن الإشارة راجعةٌ إلى المنع من المضارة خصوصًا (٥)، ولهذا القول وجهان من المعاني أيضًا:

أحدهما: أن المقصود نفي مضارة الأم من قبل الوارث؛ أي: أنه يحرم على الوارث الإضرار بالوالدة (٦).

---

١ – واختلفوا في تعيين المراد به أيضًا، فقيل: إنه باق على عمومه في كل وارث فيشمل كل ذي رحم محرم، والثاني: أنه مراد به الخصوص، واختلفوا في تعيين المراد على أقوال، والأول أولى؛ لانعدام الدلالة على الخصوص. يراجع: تأويلات أهل السنة (١٨٢/٢، ١٨٣)؛ وأحكام القرآن ، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، ١٤٠٥ هـ) (٢/ ١٠٩).

٢ – يراجع: جامع البيان (٦٠/٥، ٦٤)؛ ولطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الثالثة، د.ت) (١٨٤/١).

٣ – يراجع: أحكام القرآن، للجصاص (٢/ ١٠٨).

٤ – يراجع: تأويلات أهل السنة (٢/ ١٨٢)؛ والتفسير البسيط للواحدي (٢٥٢/٤)؛ وتفسير التحرير والتنوير (٤٣٤/٢).

٥ – يراجع: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣١٣/١).

٦ – يراجع: معاني القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بالنَّحَّاس (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، الأولى، ١٤٠٩هـ) (٢١٨/١).

الثاني: أن المقصود نفي مضارة الوارث من قبل غيره؛ أي: أن الوارث لا يلحقه ضرر، شأنه في ذلك شأن الوالدة والمولود له (١).

ومستند هذا القول في نظر القائلين به: حمل اسم الإشارة على أقرب مذكور، وهي نفي المضارة (٢)، ونظم الآية؛ حيث يرون أنه لو أراد باسم الإشارة جميع ما سبق من الإرضاع والإنفاق وعدم الضرر، لقال: وعلى الوارث مثل هؤلاء، لكنه عبّر بـ ذَٰلِكَ؛ فدل على أنه معطوف على المنع من المضارة لا غير" (٣).

قال العلامة الشوكاني: " وأما قول القرطبي: لو أراد الجميع لقال: مثل هؤلاء، فلا يخفى ما فيه من الضعف البين؛ فإن اسم الإشارة يصلح للمتعدد كما يصلح للواحد بتأويل: المذكور أو نحوه" (٤).

- القول الرابع: أن الآية تضمنت أن الوارث عليه رزق المرضعة وكسوتها، ثم نسخ ذلك، وينسب هذا القول للإمام مالك ﷺ (٥)، ولم يبين ناقله وجه القول بالنسخ، "والذي يشبه أن يكون الناسخ لها عنده والله -جل وعز- أعلم أنه لما أوجب الله تبارك وتعالى للمتوفى عنها زوجها من مال المتوفى نفقة حول والسكنى، ثم نسخ ذلك ورفعه؛ نسخ ذلك أيضا عن الوارث" (٦).

ودعوى النسخ على هذا الوجه لا تصح لعدم وجود نص عليه في مرتبة الآية، وغاية ما يفهم من القول بالنسخ أن المراد به التخصيص (٧).

قال الإمام ابن العربي: " فأما قول مالك إنه منسوخ فهو تسامح في تسمية المخصوص منسوخا لأن التخصيص نسخ لغة ولكنه ليس به عرفا، فأجراه مالك على الأصل في الاقتضاء اللغوي، وقد قيل إنه أراد بذلك أصلا آخر من أصول النفقة وهو أن الحكم في صدر الإسلام كان بوجوب النفقة والسكنى للمتوفي عنها زوجها حولًا، ثم نسخ على ما يأتي بيانه بعد إن شاء الله، فإذا ارتفع ذلك عن الأصل فارتفاعه عن

---

١ – يراجع: جامع البيان (٦٣/٥)؛ وبحر العلوم للسمرقندي (١٥٣/١).

٢ – يراجع: أحكام القرآن، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري المالكي (بيروت: دار الكتب العلمية، الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م) (٢٧٦/١).

٣ – يراجع: الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٧٠).

٤ – فتح القدير (١/ ٢٨٢).

٥ – يراجع: المدونة، الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م) (٣٤٥/١)، (٢٦٦/٢).

٦ – الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بالنَّحَّاس (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢١هـ) (ص: ٢٣٣، ٢٣٦).

٧ – يراجع: أحكام القرآن لابن العربي(٢٧٦/١)؛ والتيسير في قواعد التفسير، محي الدين محمد بن سليمان الكافيجي (القاهرة: دار القدسي، الأولى، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م) (ص: ٦١).

الوارث الذي هو فرضه أولى، وهذا أصل محقق من مسائل الأصول، والأول أقوي فعليه المعول والله أعلم" (١).

وقد ورد في بيان وجه النسخ أيضًا: أن الآية تضمنت أن الوارث عليه رزق المرضعة وكسوتها، ثم نسخ ذلك بإجماع الأمة على أنه لا حق في مال الميت، بعد جهازه وقضاء دينه، وتنفيذ وصيته، إلا الميراث، فنسخ بذلك كل ما كان مأمورا به أن يدفع من مال الميت مثل حكم هذه الآية، وهذا الوجه غير مقبول لاضطراب ما أسس عليه من دعوى الإجماع (٢).

- الترجيح:

بعد عرض الأقوال الواردة في مرجع اسم الإشارة في قوله تعالى:وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ ومستند كل منها؛ يترجح قول من ذهب إلى رجوع اسم الإشارة إلى جميع ما سبقه، من الإرضاع والإنفاق وعدم الضرر، وذلك بناءً على:

- أن دلالة لفظ الآية على العموم أولى من إفادة التخصيص؛ إذ لا يصار إلى التخصيص بغير دليل (٣).

- أن القول بنفي المضارة لا دلالة فيه على أن من قال ذلك لا يرى وجوب النفقة على الوارث؛ " لأن المضارة قد تكون في النفقة، كما تكون في غيرها، فعوده على المضارة لا ينفي إلزامه النفقة، ولولا أن عليه النفقة ما كان لتخصيصه بالنهي عن المضارة فائدة؛ إذ هو في ذلك كالأجنبي، ويدل على أن المراد المضارة في النفقة وفي غيرها قوله تعالى عقيب ذلك: وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡۗالبَقَرَة:؛ فدل ذلك على أن المضارة قد انتظمت الرضاع والنفقة" (٤).

- أن عود اسم الإشارة على مجموع ما سبقه من الكلام أسلوب معروف في القرآن الكريم والعربية؛ فإن اسم الإشارة يصلح للمتعدد كما يصلح للواحد بتأويل: المذكور أو نحوه (٥).

- أن هذا القول جامع لغيره من الأقوال، وهو أيضًا قول أكثر العلماء أو الجمهور (١).

وهكذا يظهر صحة هذا التعقب من العلامة الشوكاني على الإمام ابن عطية – رحمهما الله تعالى-.

---

١ – يراجع: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري المالكي (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م) (٢/٩٨، ٩٩).

٢ – يراجع: البحر المحيط في التفسير (٢/ ٥٠٦)؛ وتفسير التحرير والتنوير (٢/ ٤٣٧).

٣ – يراجع: جامع البيان (٢/٢٠٨).

٤ – أحكام القرآن للجصاص (٢/١٠٩).

٥ – يراجع: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (دمشق: دار القلم، د.ط.ت) (٢/٤٧١)؛ وفتح القدير (١/ ٢٨٢).

المطلب الثالث: في المراد بالظلمات والنور في قوله تعالى:
وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ الأَنْعَام: (١) :

- قول الإمام ابن عطية:

اختار الإمام ابن عطية أن المراد بالظلمات والنور في الآية: الليل والنهار، ويؤكد هذا الاختيار تعقبه لمن قال بأن المراد بهما: الكفر والإيمان؛ ؛ مستندًا في هذا التعقب على أنه لا يجوز إخراج اللفظ عن ظاهر معناه الحقيقي إلى معنى باطن لغير ضرورة، وأن ذلك يعتبر من الإلغاز، والقرآن الكريم منه بريءٌ.

قال الإمام ابن عطية: " وقال السدي وقتادة والجمهور من المفسرين: الظُّلُماتِ الليل والنُّورَ النهار، وقالت فرقة: الظُّلُماتِ الكفر، والنُّورَ الإيمان. قال القاضي أبو محمد: وهذا غير جيد؛ لأنه إخراج لفظ بيّن في اللغة عن ظاهره الحقيقي إلى باطن لغير ضرورة، وهذا هو طريق اللغز الذي برئ القرآن منه" (٢).

- تعقب العلامة الشوكاني:

قال العلامة الشوكاني عقب نقله رأي الإمام ابن عطية: " وهذا خروج عن الظاهر، انتهى. والأولى أن يقال: إن الظلمات تشمل كل ما يطلق عليه اسم الظلمة، والنور يشمل كل ما يطلق عليه اسم النور، فيدخل تحت ذلك ظلمة الكفر ونور الإيمان أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ الأَنْعَام:

اد العلامة الشوكاني مضمون هذا التعقب من الإمام القرطبي -رحمهما الله-؛ حيث سبقه به (٣).

- الدراسة:

للمفسرين في المراد بالظلمات والنور في قوله تعالى:

وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ الأَنْعَام: (١) قولان رئيسان:

- الأول: أن المراد بالظلمات والنور حقيقتهما؛ ولهؤلاء في معنى الآية وجهان:

أحدهما: أن معناها: أظلم الليلَ، وأنارَ النَّهار؛ على أن (جعل) بمعنى صيّر (٤).

والثاني: أن معناها: خلق الليل والنهار؛ على أن (جعل) بمعنى (خلق) (٥).

=

١ – يراجع: مفاتيح الغيب (٤٦٣/٦)؛ وتفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٩ هـ) (٤٧٩/١).

٢ – المحرر الوجيز (٢٦٦/٢).

٣ – يراجع: الجامع لأحكام القرآن (٣٨٦/٦).

٤ – يراجع: جامع البيان (٢٤٧/١١)؛ والهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (الشارقة: جامعة الشارقة، الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م) (٣/ ١٩٥٦).

٥ – يراجع: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٢٧).

ومستند هذا القول ظاهر الآية؛ حيث يتناول سياقها عظائم من خلق الله تعالى، وهي السماوات والأرض، والظلمات والنور؛ ليشير إلى أن خالقها لا شيء مثله، وإلى توحيده (١).

كما يدل لهذا القول: أن حمل اللفظ على الحقيقة أولى من غيره، إذا لم يقم دليل على صرفه عن الحقيقة، ويعضد ذلك اقتران ذكرهما بذكر السماوات والأرض؛ حيث بدأ -تعالى- بذكر خلق السموات والأرض، التي عنها أوجد النور والظلمة، إذ الظلمة ظلال هذه الأجرام، والنور عن أجرام نيرة محمولة فيها، وهي الشمس والقمر والنجوم (٢).

- الثاني: أن المراد بالظلمات والنور معنى غير حقيقي، وتنوعت الأقوال في تعيين المراد بهما؛ فقيل: الظلمات ظلمة الشرك والنفاق والكفر، والنور نور الإسلام والإيمان والنبوة واليقين، وقيل: الظلمات الجهل والنور العلم، وقيل: النور الجنة والظلمات النار (٣).

ويدل لهذا القول عموم لفظ الظلمات والنور في الآية، بحيث يشمل كل ما يصدق عليه من معان، ويعضده أن ذلك كله من خلق الله تعالى (٤).

كما يشهد له أيضًا جمع لفظ الظلمات، وتقديمه على النور؛ ففي ذلك مناسبة لعموم معنى كل منهما، ولا يقدح في ذلك إفراد لفظ النور؛ حيث يمكن حمله على الجنس، وليشير في الوقت ذاته إلى أن الهدى واحد والضلال متعدد (٥).

- الترجيح:

يتضح بعد عرض أقوال المفسرين في المراد بالظلمات والنور، أن لاختيار الإمام ابن عطية وجهًا من النظم؛ حيث إن السياق يتناول خلق الله تعالى السماوات والأرض، وما يتصل بذلك من المعاني الدالة على استحقاق الله تعالى الحمد واتصافه بالوحدانية، كما تدعمه حقيقة الاستعمال اللغوي.

لكن يبقى أن عموم لفظ الظلمات والنور في الآية يقتضي احتماله للقولين، وهذا مشكلٌ؛ لأن اللفظ الواحد بالاعتبار الواحد، لا يمكن حمله على حقيقته ومجازه معًا (١).

---

١ – يراجع: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٢٧)؛ وبحر العلوم للسمرقندي (٤٣٣/١)؛ والهداية إلى بلوغ النهاية (٣/ ١٩٥٦).

٢ – يراجع: بحر العلوم (٤٣٣/١)؛ ومفاتيح الغيب (١٢/ ٤٧٨)؛ والبرهان في تناسب سور القرآن، أبو جعفر أحمد ابن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م) (ص: ٢٠٥)؛ و روح المعاني (٤/ ٧٨)؛ وتفسير التحرير والتنوير (١٢٧/٧)..

٣ – يراجع: تأويلات أهل السنة (٤/ ٥)؛ وبحر العلوم (٤٣٣/١)؛ ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى ، ١٤٢٠هـ) (٢/ ١٠٨)؛ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٢/ ٤٧٨)؛ والبحر المحيط في التفسير (٤/ ٤٢٨).

٤ – يراجع: التفسير البسيط (٨/ ٨).

٥ – يراجع: لطائف الإشارات (٤٦٠/١)؛ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله ابن عمر البيضاوي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى – ١٤١٨ هـ) (٢/ ١٥٣)

والذي أميل إليه هو ما اختاره الإمام ابن عطية من كون الظلمات والنور على حقيقتهما؛ لأمور:

- أن الآية في مطلع سورة الأنعام وهي من السور المختصة بتقرير عقائد الألوهية والوحدانية، وبيان بطلان عقائد كفار العرب بأصنافهم؛ لذا كان حمل الظلمات والنور على الحقيقة أليق بتحقيق هذا الغرض، خاصةً أنهما اقترنا بذكر خلق السماوات والأرض (٢).

- كما يشير تنوع العامل في الجملتين المذكورتين في الآية (خلق) و(جعل) إلى أن الظلمات والنور عرضين من أعراض الذوات المذكورة قبلهما (السماوات والأرض)، وهذا أليق بالمقام المشار إليه أيضًا، وتخصيص الظلمات والنور بالذكر من بين سائر أعراض السماوات والأرض؛ لاستواء جميع الناس في إدراكهما والشعور بهما (٣).

- ويرجح هذا أيضًا ما ورد في بعض الكتب من أن كل ما في القرآن من الظلمات والنور فهو الكفر والإيمان، إلا في هذه الآية، فإنه يريد بهما الليل والنهار (٤).

ولا يتعارض هذا القول -في نظري- مع ما يفهم من اللفظين من معانٍ ثانوية، كتلك التي وردت في القول الثاني؛ حيث إن اقتصار نظم الآية على ذكر السماوات والأرض والظلمات والنور لا يعنى حصر دلائل الوحدانية والألوهية واستحقاق الحمد فيها، بل إنها اقتصرت من تلك الدلائل على ذكر أعظمها جرماً في النظر، وأشملها تناولاً للأعراض؛ ليدخل في الأول سائر الأجسام، وفي الثاني جميع الأعراض.

وبهذا يتضح عدم دقة تعقب العلامة الشوكاني لقول الإمام ابن عطية في هذه المسألة.

=

١ – يراجع: مفاتيح الغيب (٤٧٩/١٢).

٢ – يراجع: بحر العلوم (٤٣٣/١)؛ وتفسير التحرير والتنوير (١٢٧/٧).

٣ – يراجع: تفسير التحرير والتنوير (١٢٧/٧)؛ وزهرة التفاسير (٥/ ٢٤٣١).

٤ – يراجع: معالم التنزيل (٢/ ١٠٨)؛ والبرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (بيروت: دار المعرفة، د.ط، ١٣٩١هـ) (١/ ١١١).

المطلب الرابع: في تعيين قائل قوله تعالى:

يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ(٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)الشُّعَرَاء

- قول الإمام ابن عطية:

اختار الإمام ابن عطية أن الآيات من أول قوله تعالى: يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ليست من كلام سيدنا إبراهيم -عليه السلام-، وإنما هي من كلام الله -تعالى.

قال الإمام ابن عطية: " قال القاضي أبو محمد: وهذه الآيات من قوله تعالى: يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَال وَلَا بَنُونَ الشُّعَرَاء: هي عندي منقطعة من كلام إبراهيم -عليه السلام-، وهي إخبار من الله عز وجل، تعلق بصفة ذلك اليوم، الذي وقف إبراهيم عليه السلام عنده في دعائه، أن لا يخزى فيه" (١).

- تعقب العلامة الشوكانى:

ضعّف العلامة الشوكاني رأي الإمام ابن عطية السابق، فقال: " وقال ابن عطية: إن هذا وما بعده من كلام الله، وهو ضعيف" (٢).

- الدراسة:

للمفسرين في تعيين قائل قوله تعالى: يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ(٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)الشُّعَرَاء

قولان:

- الأول: أن الآيات من تتمة كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام، ويستند هذا إلى كون (يوم) بدلًا من (يوم) السابقة لها (٣).

- الثاني: أن الآيات من كلام الله تعالى، على جهة كونها إخبارًا من الله تعالى تعلق بصفة ذلك اليوم، الذى سأل سيدنا إبراهيم ربه ألا يخزيه فيه (٤).

- الترجيح:

يتضح بعد عرض أقوال المفسرين في المسألة، أن الآيات من تتمة كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ وذلك لوجوه:

- الأول: أن القول بأنها من كلام الله تعالى يتعارض مع كون (يوم) الثانية بدلًا من الأولى؛ لما في ذلك من تفكيك للنظم؛ حيث إن العامل في البدل على مذهب

---

١ – المحرر الوجيز (٤/٢٣٦).

٢ – فتح القدير (٤/١٢٣).

٣ – يراجع: جامع البيان (١٩/٣٦٥)؛ والتبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط.ت) (٢/ ٩٩٧)؛ والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني (المدينة المنورة: دار الزمان، الأولى، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م) (٥/ ٥٨).

٤ – يراجع: بحر العلوم (٢/ ٥٥٨)؛ والمحرر الوجيز (٤/٢٣٦)؛ وتفسير التحرير والتنوير (١٩/ ١٤٧).

الجمهور فعل آخر من لفظ الأول، أو الأول (١)، وعلى كلا التقديرين لا يصح أن يكون من كلام الله؛ إذ التقدير بناءً على البدلية: ولا تخزني يوم لا ينفع مال ولا بنون، وعلى هذا لا يصح أن يكون من كلام الله تعالى (٢).

وقد ذكر النحاة أن مقصود المتكلم من البدل هو إعلام السّامع بمجموع اسمي المسمّى، علي جهة البيان؛ بما يتضمنه من الإيضاح والتحديد والتخصيص والتأكيد وقطع الاشتراك بين المبدل منه والبدل ونحوها؛ فيذكر الأوّل منهما (المبدل منه) لنوع من التوطئة؛ وليفاد بمجموعهما ما لا يحصل بأحدهما من البيان (٣).

- الثاني: أن كون الآيات من كلام سيدنا إبراهيم يتسق مع نظم الآيات، من خلال دلالة البدل على تأكيد التهويل، والتمهيد لما يعقبه من الاستثناء في قوله تعالى: إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)**الشُّعَرَاء** (٤).

- الثالث: يرد على ما ذكره العلامة ابن عاشور في ترجيح قول الإمام ابن عطية أنه ليس هناك تطابقًا بين الآية وبين قوله تعالى: هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ المَائِدَة: ١١٩ ؛ حيث سبقت آية المائدة بفعل القول، بخلاف هذه الآية، كما أن في تقدير الاستئناف نوع تعسف، وبأنه لا مانع على تقدير البدلية أن يكون في قوله تعالى: : إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)**الشُّعَرَاء** إشارةً إلى سيدنا إبراهيم؛ باعتبار صدوق المفهوم عليه صدوقًا أوليًا، مع عمومه.

وبهذا يتضح صحة تعقب العلامة الشوكاني لقول الإمام ابن عطية في هذه المسألة.

---

١ – اختلف النحاة حول العامل في البدل على رأيين:

– الأول: أن العامل في البدل غير العامل في المبدل منه؛ وعلى ذلك يكون العامل في البدل على تقدير إعادة العامل الأول.

– الثاني: أن العامل في البدل هو العامل في المبدل منه. يراجع: اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله ابن الحسين العكبري (دمشق: دار الفكر، الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م) (١/ ٤١٤، ٤١٥).

٢ – يراجع: البحر المحيط في التفسير (٨/ ١٧١)؛ وروح المعاني (٩٨/١٠).

٣ – يراجع: علل النحو، أبو الحسن محمد بن عبد الله بن العباس، المعروف بابن الوراق (الرياض: مكتبة الرشد، الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م) (ص: ٣٨٧)؛ وشرح المقدمة المحسبة، طاهر بن أحمد بن بابشاذ (الكويت: الطبعة العصرية، الأولى، ١٩٧٧م) (٤٢٣/٢)؛ والبديع في علم العربية، ابن الأثير الجزري (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، الأولى، ١٤٢٠هـ) (٣٤٢/١)؛ واللباب في علل البناء والإعراب (١/ ٤٠٤، ٤١٠).

٤ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط.ت) (٦/ ٢٥٠)؛ وروح المعاني (٩٨/١٠).

المبحث الثاني

تعقبات الإمام الشوكاني لآراء الإمام ابن عطية المتعلقة بالوقف والابتداء

الوقف والابتداء (١) واحدٌ من علوم القرآن المهمة؛ حيث يعرف به كيف أداء القرآن، ويترتب على ذلك فوائد كثيرة، واستنباطات غزيرة، وبه تتبين معاني الآيات، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات، ومعرفة هذا الفن تحتاج إلى علوم كثيرة، منها: النحو والقراءات والتفسير والقصص وأسلوب القرآن ونظمه وغيرها من العلوم، ومعرفة هذا العلم من تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه وغريبه (٢)

وقد نقل العلامة الشوكاني عن الإمام ابن عطية أقوالًا تتعلق بهذا العلم، وتعقب اثنين منها، أتناول كلًا منهما في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: في الوقف على (كان) والابتداء بما بعدها في قوله تعالى: وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ القَصَص: ٦٨:

- قول الإمام ابن عطية:

ذهب الإمام ابن عطية إلى جواز الوقف على (كان) في قوله تعالى: وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ؛ بناءً على تقدير (كان) تامة، فتكون (ما) معها بمعنى المصدر (الكون)، ويكون معنى الآية حينئذٍ: أن الله تعالى يختار كل كائن، ولا يكون شيء إلا بإذنه، وتكون جملة: لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ جملةً مستأنفةً معناها تعديد النعمة عليهم، في اختيار الله تعالى لهم لو قبلوا وفهموا.

قال الإمام ابن عطية: " ويتجه عندي أن يكون (ما) مفعولة، إذا قدرنا كانَ تامة، أي أن الله تعالى يختار كل كائن، ولا يكون شيء إلا بإذنه، وقوله تعالى: لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ جملة مستأنفة، معناها تعديد النعمة عليهم، في اختيار الله تعالى لهم لو قبلوا وفهموا " (٣)

---

١ – الوقف هو: قطع الصوت عن الكلمة زمنا يتنفس فيه القارئ عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض عنها، ويأتي في رءوس الآي، وأوساطها، ولا بدّ معه من التنفس، ولا يأتي في وسط الكلمة، ولا فيما اتصل رسما. والابتداء هو: استئناف القراءة بعد الوقف، وهما مرحلتان متلازمتان في كل تلاوة للقرآن الكريم. يراجع: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، العلامة أحمد بن عبد الكريم ابن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي (القاهرة: دار الحديث – القاهرة، د.ط، ٢٠٠٨م)؛ والموسوعة القرآنية المتخصصة، لموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د.ط، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م) (٤٠١/١).

٢ – يراجع: البرهان في علوم القرآن (٣٤٢/١)؛ والإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م) (٢٨٣/١-٢٨٢)؛ وإيضاح الوقف والابتداء، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠هـ – ١٩٧١م) (١٠٨/١).

٣ – المحرر الوجيز (٢٩٦/٤).

- تعقب العلامة الشوكاني:

قال العلامة الشوكاني عقب نقله كلام الإمام ابن عطية: " وجوز ابن عطية أن تكون كان تامة، ويكون لهم الخيرة جملة مستأنفة، وهذا أيضا بعيد جدًا " (١).

- الدراسة:

للعلماء في الوقف على (كان) والابتداء بما بعدها في قوله تعالى: وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ أقوال:

- الأول: أن الوقف على قوله تعالى: وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ تامٌ (٢)، ويكون قوله تعالى: مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ ، وتكونْ " مَا " نافية، ويكون المعنى حينئذٍ: ربك يخلق ما يشاء، وربك يختار ليْسَ لهم الخيرة، وما كانت لهم الخيرةُ، وإنما الخيرة (الاختيار) لله تعالى وحده (٣).

وقد تنوع تأويل المراد بهذه الآية بين العموم والخصوص، فقيل: إنه مختصة بشأن الرسالة؛ فيكون المعنى: وربك يختار للرسالة من يشاء ويجتبيه لها، فيجعلهم رسلا، لم يكن لهم أن يختاروا هم، ولكن الله يختار ويصطفي من يشاء ردًّا لقول المشركين: **وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** الزُّخۡرُف: ٣١. وقيل: إنه عام في كل أمر، أي: وربك يختار ما يشاء ويأمر، وما كان لهم الخيرة من أمره، أي: تخير الأمور على الله تعالى؛ كقوله:**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗوَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا** الأَحۡزَاب: ٣٦ (٤).

- الثاني: أن الوقف على قوله تعالى: وَيَخۡتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ تامٌ، و(ما) موصولة في موضع نصب؛ ؛ بناءً على المراد بـ (الخيرة) الصفوة: ويكون المعنى: أن الله تعالى يختار لولايته الخيرة من خلْقه، ومن سبقت له منه السعادة.

---

١ – فتح القدير (٢١١/٤).

٢ – الوقف التام هو: هو الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده؛ لأنه لا يتعلق بشيء مما بعده. وذلك عند تمام القصص وانقضائهن، وأكثر ما يكون موجوداً في الفواصل ورؤوس الآي. المكتفى في الوقف والابتدا، الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الداني (عمّان: دار عمار، الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م) (ص: ٨).

٣ – يراجع: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٥١/٤، ١٥٢)؛ وإيضاح الوقف والابتداء (٨٢٣/٢).

٤ – يراجع: تأويلات أهل السنة (١٩٠/٨)؛ وبحر العلوم (٢/ ٦١٦)؛ وتفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون – آخر سورة السجدة، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، الأولى، ١٤٣٠ – ٢٠٠٩ م) (٣٦٣/١)؛ وأسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (الدمام: دار الإصلاح، الثانية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م) (ص: ٣٣٩).

ويستند هذا القول على ما ورد من أن المشركين كانوا يختارون خيار أموالهم، فيجعلونها لآلهتهم، فقال الله تعالى لنبيه : وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويختار للهداية والإيمان والعمل الصالح من خلْقه، من سبق له في علمه، وذلك في مقابلة اختيار هؤلا المشركين لآلهتهم خيار أموالهم.

وقد استبعد أصحاب هذا القول كون (ما) نافية بمعنى الجحد؛ بناءً على: أنها لو كانت بمعنى الجحد على ما ذكره أصحاب القول الأول، كان الجحد متعلقًا بما مضى قبل نزول الآية فقط، بخلاف المستقبل، فلهم فيه الخيرة. وأنه لم يتقدم معنى في الآية أو قبلها يتعلق بمفهوم الجحد في قوله تعالى: مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ ، وعلى هذا يتنافى ادعاء معنى الجحد مع بيان القرآن الكريم ووضوح معانيه. وعلى أن الخيرة في هذا الموضع ليست بمعنى الاختيار، وإنما المراد بها الشيء الذي يختار ويصطفى من البهائم والأنعام والرجال والنساء (١).

وأجيب عن مستند القول الأول بأن ما ذكروه من كون تعلق النفي في (ما) بالماضي دون المستقبل لا يلزم، بل النفي عام في الماضي والمستقبل، وقد أجمع أهل اللغة على أن " ما " تنفي الحال والإستقبال كليس. ولذلك عملت عملها. دليله: قوله تعالى: مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ [البقرة: ١١٤]. وقوله: مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ [الأحزاب: ٣٨]؛ فهذا نفي عام في الماضي والمستقبل، ولو كان الأمر على ما أصل الإمام الطبري؛ لكان لهم دخولها فيما يستقبل غير خائفين، ولكان على النبي الحرج فيما فرض الله له فيما يستقبل، وهذا كثير في القرآن، وأما ما ذكروه من أنه لم يتقدم كلام يكون هذا نفي له، فهو غير لازم أيضًا؛لأن الآي إنما كانت تنزل على ما يسأل النبي عنه،وعلى ما هم عليه مصرون من الأعمال السيئة،وعلى ذلك أكثر أي القرآن،فلا يلزم أن يكون قبل كل آية تفسير ما نزلت فيه ومن أجله (٢).

- الثالث:أن الوقف على(كان)في قوله تعالى: وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ تامٌ، وتكون جملة: لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ جملةً مستأنفةً،ويكون المعنى:ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة(الخير والصلاح) أن يكون؛ وقد ذكر ابن عطية أن في هذا الوجه دلالة على شرف اختيار الله تعالى لهم (٣).

ويستند هذا القول على تقدير(كان)تامة، فتكون(ما)معها بمعنى المصدر (الكون) (٤).

---

١ – يراجع: جامع البيان (٦١١/١٩–٦٠٨)؛ والهداية إلى بلوغ النهاية (٥٥٦٣/٨).

٢ – يراجع: الهداية إلى بلوغ النهاية (٥٥٦٥/٨، ٥٥٦٦).

٣ – يراجع: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٥١/٤، ١٥٢)؛ وإيضاح الوقف والابتداء (٨٢٣/٢)؛ وتأويلات أهل السنة (١٩٠/٨)؛ وإعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المعروف بالنحاس (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ) (١٦٥/٣)؛ وتفسير ابن فورك (٣٦٣/١).

٤ – يراجع: إيضاح الوقف والابتداء (٨٢٣/٢)؛ والمحرر الوجيز (٢٩٦/٤)؛ وأنوار التنزيل (١٨٣/٤).

- الترجيح:

بعد عرض أقوال العلماء في مسألة الوقف على (كان) والابتداء بما بعدها في قوله تعالى:وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ ؛ يترجح القول الأول المنسوب لجمهور العلماء، وذلك بناءً على الآتي:

- أولًا: أن هذا قول الجمهور من القراء والمفسرين، وفي القول بالقولين الآخرين إبطال لقولهم وما يتعلق به.

- ثانيًا: أن المعنى المترتب على هذا القول يتفق مع معتقد أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية وأهل الحديث، وفيه ردٌ على القدرية، وفي القول بغيره شبهة لهم (١).

قال الإمام النسفي -رحمه الله-: "... ومن وصل على معنى: ويختار الذي لهم فيه الخيرة، فقد أبعد، بل (ما) لنفي اختيار الخلق؛ تقديرًا لاختيار الحق، ومن قال: ومعناه ويختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح، فهو مائل إلى الاعتزال " (٢).

- ثالثًا: أن القولين الثاني والثالث يستلزمان إشكالًا إعرابيًا، حيث أسسا على كون (ما) في موضع نصب، ولو كانت كذلك لم يعد عليها شيءٌ، وهذا غير مقبول (٣).

- رابعًا: يتسق القول الأول مع النظم والإعراب والمعاني، وفي القولين الآخرين نوع تكلف في تقدير المعاني (٤)؛ وذلك أن الآية واردة في مقام بيان انفراد الله تعالى بالخلق والتقدير والاختيار، وأنه لا نظير له في ذلك؛ بدلالة تذييلها (٥) بقوله تعالى: سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ، أي: من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئًا، كما أن

---

١ – يرى المعتزلة بناءً على أصلهم الثاني (العدل) أنه يجب على الله تعالى رعاية الصلاح والأصلح لعباده، وفي هذه الآية متعلق لهم على القول الثالث. يراجع: شرح الأصول الخمسة لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمداني المعتزلي، الإمام أحمد بن الحسين ابن هاشم الزيدي (القاهرة: مكتبة وهبة، الثالثة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م) (ص:١٣٢-١٣٤).

٢ – مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (بيروت: دار الكلم الطيب، بيروت، الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) (٢/ ٦٥٤).

٣ – يراجع: إيضاح الوقف والابتداء (٨٢٣/٢، ٨٢٤)؛ وإعراب القرآن للنحاس(١٦٥/٣)؛ والقطع والائتناف، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المعروف بالنحاس (السعودية: دار عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ-١٩٩٢م) (ص: ٥١٤)؛ وتفسير ابن فورك (٣٦٣/١)؛ ومنار الهدى في بيان الوقف والابتدا (١٢٨/٢، ١٢٩)؛ المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء، أبو يحيى زين الدين زكريا بن محمد ابن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي (المنصورة: دار المصحف، الثانية، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م) (ص: ٦٦).

٤ – في القول الثاني يجعل الإمام الطبري " ما " لمن يعقل بمعنى " الذي " ويقدر رفع " الخيرة " بالابتداء سمحلَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚسجى، والجملة خبر كان وشبهه بقولك: " كان زيد أبوه منطلق " وهذا كلام لا وجه له ولا معنى؛ لأنه عائد يعود على اسم كان، فإن قدرت فيه محذوفة جاز على بُعد، وكان هو خبر " الخيرة "، ولهم: ملغى.: الهداية الى بلوغ النهاية (٥٥٦٤/٨، ٥٥٦٥).

٥ – التذييل: هو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد. الإيضاح في علوم البلاغة، أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (بيروت: دار الجيل، الثالثة، د.ت) (٣/ ٢٠٥).

الضمير في لَهُمُ كناية عن المشركين، والمعنى: ما كان للمشركين أن يختاروا على الله، فكيف يصح ما ذهبوا إليه؟! (١).

يقول الإمام مكي - رحمه الله-:" وإذا جعلت (مَا) فِي مَوضِع نصب بـ (يختار)؛ لم تعم جَمِيع الْأَشْيَاء أَنَّهَا مختارة لله، إنما أوجبت أَنه يخْتَار مَا لَهُم فِيهِ الْخيرَة لَا غير، وَنفي مَا لَيْسَ لَهُم فِيهِ خيرة، وَهَذَا هُوَ مَذْهَب الْقَدَرِيَّة والمعتزلة؛ فكون (مَا) للنَّفْي أولى فِي الْمَعْنى، وَأَصَح فِي التَّفْسِير، وَأحسن فِي الِاعْتِقَاد، وَأقوى فِي الْعَرَبِيَّة، أَلا ترى أَنَّك لَو جعلت مَا فِي مَوضِع نصب لَكَانَ ضميرها فِي كَانَ اسْمهَا، ولوجب نصب الْخيرَة، وَلم يقْرَأ بذلك أحد" (٢).

وبهذا يتضح صحة مسلك العلامة الشوكاني في تعقبه لما اتجه إليه رأي الإمام ابن عطية.

وختامًا لهذا المطلب أشير إلى أن مثل هذا الاختيار من ابن عطية قد يفسر ما ظنه به بعض الناس من القيام بدس المسائل اعتزالية في أثناء تفسيره.

ولعل مما ينفى هذا الظن أن الإمام ابن عطية لم ينفرد بين المفسرين بهذا القول، وإنما سُبق إليه، وذكره بعده غير واحد، كما أن مقالة المعتزلة محمولة على الإيجاب، وقول ابن عطية وأمثاله من أهل السنة محمول على التفضل والإحسان (٣).

المطلب الثاني: في الوقف على : كَذَٰلِكَ في قوله تعالى: وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥۗ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ فاطر: 28:

- قول الإمام ابن عطية:

بعد أن ذكر الإمام ابن عطية قول جمهور المفسرين في حسن الوقف (٤) على كَذَٰلِكَۗ ؛ على أنها من تمام الكلام قبلها، أورد احتمال كونها من الكلام التالي: إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ؛ فيخرج معنى الإشارة المضمن فيها مخرج السبب لخشية العلماء لله تعالى.

قال الإمام ابن عطية: " وقوله: مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ قبله محذوف إليه يعود الضمير، تقديره: وَالْأَنْعامِ خلق مُخْتَلِفٌ أَلوانُهُ، وَالدَّوَابِّ يعم الناس والأنعام لكن ذكرا تنبيها منهما، وقوله: كَذَٰلِكَۗ يحتمل أن يكون من الكلام الأول؛ فيجيء الوقف عليه حسنا، وإلى هذا ذهب كثير من المفسرين، ويحتمل أن يكون من الكلام الثاني، يخرج مخرج السبب؛ كأنه قال: كما جاءت

---

١ – يراجع: التفسير البسيط (٤٣٩/١٧، ٤٤٠) الصلب وحاشية التحقيق؛ وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م) (٩٩/١٢).

٢ – مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي المالكي (بيروت: مؤسسة الرسالة، الثانية، ١٤٠٥هـ) (٢/ ٥٤٧). ويراجع: البحر المحيط في التفسير (٣٢٠/٨).

٣ – يراجع: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (القاهرة: طبعة الدكتور حسن عباس زكي، الأولى، ١٤١٩ هـ) (٢٧٠/٤).

٤ – الوقف الحسن هو: الذي يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً. المكتفى في الوقف والابتدا، (ص: ١١). وأرى أن المقصود بحسن الوقف في هذا الموضع تمامه؛ إذ يحسن الابتداء بما بعده على جهة الاستئناف.

القدرة في هذا كله إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ، أي: المحصلون لهذه العبرة الناظرون فيها " (١)

- تعقب العلامة الشوكاني:

قال العلامة الشوكاني: " وقيل: إن قوله: كذلك متعلق بما بعده، أي: مثل ذلك المطر والاعتبار في مخلوقات الله، واختلاف ألوانها، يخشى الله من عباده العلماء، وهذا اختاره ابن عطية، وهو مردود بأن ما بعد إنما لا يعمل فيما قبلها. والراجح الوجه الأول، والوقف على كذلك تام. " (٢).

وقد أفاد العلامة الشوكاني هذا التعقب من الإمام أبي حيان -رحمهما الله- (٣).

- الدراسة:

للعلماء في الوقف على : كَذَٰلِكَ في قوله تعالى: وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ أقوال:

- الأول: أن الوقف على كَذَٰلِكَ تام، وهي متصلة بالكلام قبلها، وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ، ولهم في المراد بـ كَذَٰلِكَ وجهان:

أحدهما: أن تكون متعلقة بما قبلها؛ فيكون المعنى: ومن الناس والدواب والأنعام خلقٌ مختلف ألوانه، بالحمرة والبياض والسواد والصفرة، مثل الذي من الثمرات والجبال.

والثاني: أن تكون صلةً بين ما قبلها وما بعدها؛ فيكون المعنى: كما اختلف ألوان الثمار والجبال والناس والدواب والأنعام كذلك تختلف أحوال العباد في الخشية، وعلى الوجهين يكون قوله تعالى: إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ كلامًا مستأنفًا (٤).

- الثاني: أن الوقف على أَلْوَٰنُهُۥ تام، ولا وقف على كَذَٰلِكَ؛ لأنها متصلة بالكلام بعدها، وتكون كالسبب له، كأنه قيل: كما جاءت القدرة في هذا كله؛ يخشى الله من عباده العلماء؛ أي: المخلصون لهذه العبر، الناظرون فيها (٥).

وكَذَٰلِكَ على الوجهين السابقين في موضع نصب صفة لمحذوف، تقديره على الأول: مختلف اختلافًا مثل ....، وعلى الثاني: خشيةً مثل اختلاف ...، ويجوز أن تكون في موضع رفع على الخبرية أيضًا (٦).

- الثالث: أن الوقف على أَلْوَٰنُهُۥ تامٌ، وكذلك الوقف على كَذَٰلِكَ؛ لأنه كلام مبتدأ، يتنزل منزلة الإخبار بالنتيجة عقب ذكر الدليل، ويكون المعنى: كذلك أمر الاختلاف في ظواهر الأشياء المشاهد في اختلاف ألوانها، وتكون جملة كَذَٰلِكَ توطئة لما يرد بعدها من تفصيل الاستنتاج

---

١ – المحرر الوجيز (٤٣٧/٤).

٢ – فتح القدير (٣٩٩/٤).

٣ – يراجع: البحر المحيط في التفسير (٣٠/٩).

٤ – يراجع: جامع البيان (٤٦٢/٢٠)؛ والنكت والعيون (٤/ ٤٧١)؛ والتفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٥٠٤)؛ ومعالم التنزيل (٦٩٣/٣)؛ والكشاف (٣/ ٦١٠) وقد خصص المراد بالعلماء دون مخصص؛ والجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٣٤٣)؛ وفتوح الغيب (١٢/ ٦٤٦)؛ والبحر المحيط في التفسير (٣٠/٩).

٥ – يراجع: المحرر الوجيز (٤٣٧/٤)؛ والبحر المحيط في التفسير (٣٠/٩).

٦ – يراجع: التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٠٧٥)؛ والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥/ ٣٢٥)؛ وفتوح الغيب (١٢/ ٦٤٦).

بقوله: إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ، أي: إنما يخشى الله من البشر المختلفة ألوانهم العلماء منهم، وتكون جملة إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ مستأنفةً عن جملة كذلك، ويكون مقصود الآية على هذا القول: بيان أن البشر في أحوال قلوبهم ومداركهم مختلفون، فالعلماء منهم تتأتى منهم الخشية، ولا تتأتى من غير العلماء، وتكون كَذَٰلِكَ خبرًا لمبتدأ محذوف، دل عليه المقام، والتقدير: كذلك الاختلاف، أو كذلك الأمر، على نحو قوله تعالى: كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا(ا) الكَهْف ٩١: (١).

- الترجيح:

بعد عرض أقوال العلماء في مسألة الوقف على كَذَٰلِكَ **في قوله تعالى:** وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ۗ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟، وكونها متصلة بما قبلها من الكلام، أو مستقلة، أو متصلة بما بعدها؛ يترجح لدي القول الأول؛ بناءً على الآتي:

- أولًا: أن هذا القول هو قول أكثر المفسرين، كما سبقت الإشارة في حاشيته.

- ثانيًا: اتساقه مع سياق الآيات ومقامها الواردة فيه؛ حيث وردت الآيتان في سياق تعداد آيات الله تعالى، وأعلام قدرته، وآثار صنعته، وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس، وما يستدل به عليه وعلى صفاته؛ ولهذا صُدِّرَت الآية الأولى بهمزة الاستفهام، وحرفِ النفي أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ فَاطِر:٢٧ ؛ لإفادةِ مَزيدِ التقرير، كما صدرت بالخطابِ العامِّ الصالح لكل أحد مع كون اللفظ لرسول الله ؛ لئلاّ تختصَّ الرؤيةُ براءٍ دون فَخامةِ الأمر، ثم قُرر هذا المعنى في أثنائهما بقوله: كذٰلِكَ، أي: الأمرُ كما ذكرت، كأنه تعالى يقول: هذه الأشياءُ كلُّها مُتساويةٌ في الجِسْميّة، واختِلافُ أنواعِها، ثم اختِلافُ كُلٍّ منها بما خُصَّ به من الأصنافِ لا بُدَّ لهُ من قادرٍ مُختارٍ قاهرٍ يَتَصرَّفُ في مُلكِهِ كيفَ يشاء (٢).

- ثالثًا: أن الاحتمال الذي بُني عليه القول الثاني (أن العامل في كذلك ما بعد إنما) لا يصح؛ لأن ما بعد إنما لا يمكن أن يتعلق بالجار والمجرور قبله كذٰلِكَ، ولو خرج مخرج السبب، لكان معنى التركيب: كذلك يخشى الله من عباده، أي لذلك الاعتبار، والنظر في مخلوقات الله واختلاف ألوانها يخشى الله، ولكن التركيب جاء بإنما، ومن خصائصها أنها تقطع هذا المجرور عما بعدها (٣).

وبهذا يتضح صحة مسلك العلامة الشوكاني في تعقبه لما ذكره من قول الإمام ابن عطية، غير أن الموضوعية تقتضي التأكيد على أن ابن عطية قدم رأي الجمهور (الراجح) في الذكر، وساق هذا القول بعده، على سبيل الاحتمال.

---

١ – يراجع: تفسير التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٠٤).

٢ – يراجع: لطائف الإشارات (٣/ ٢٠٢)؛ وفتوح الغيب (١٢/ ٦٤٦)؛ والبحر المحيط في التفسير (٣١/٩).

٣ – يراجع: البحر المحيط في التفسير (٣٠/٩، ٣١).

المبحث الثالث

تعقبات الإمام الشوكاني لآراء الإمام ابن عطية المتعلقة بإعراب القرآن

يعد علم إعراب القرآن الكريم من ضروريات التفسير، وفي الوقت ذاته لا ينفصل عن علم القراءات، فالترابط قائم بين علم التفسير (التأويل)، وعلم الإعراب، وعلم القراءات، ولعل هذا سر احتفاء كتب التفسير بالإشارات المتعلقة بوجوه القراءة المختلفة، وكذلك وجوه الإعراب (١)

المطلب الأول: في تضعيف قراءة (فيموتون) في قوله تعالى:

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ **فَاطِر : ٣٦:**

- قول الإمام ابن عطية:

حكم الإمام ابن عطية على قراءة الحسن البصري والثقفي: (فيموتون) بالرفع؛ على أن الفاء لعطف النسق (بمعنى الواو)؛ عطفًا على (يقضى)، بالضعف.

قال الإمام ابن عطية: " وقرأ الحسن البصري والثقفي «فيموتون»، ووجهها العطف على يُقْضى، وهي قراءة ضعيفة " (٢)

- تعقب العلامة الشوكاني:

تعقب العلامة الشوكاني حكم الإمام ابن عطية على القراءة بالضعف، بأنه لا وجه لهذا التضعيف، وبين أن لها وجهًا من الإعراب، حيث يقول: " قرأ الجمهور «فيموتوا» بالنصب جوابا للنفي، وقرأ عيسى بن عمر والحسن بإثبات النون، قال المازني: على العطف على يقضى. وقال ابن عطية: هي قراءة ضعيفة، ولا وجه لهذا التضعيف، بل هي كقوله: ولا يؤذن لهم فيعتذرون " (٣).

وقد أفاد العلامة الشوكاني هذا التعقب من كلام الإمامين أبي حيان والسمين الحلبي -رحمهما الله- (٤).

- الدراسة:

جاء في كلمة فَيَمُوتُواْ في قوله تعالى: لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ قراءتان:

---

١ – يراجع: إعراب القرآن للنحاس مقدمة المحقق (٧/١).

٢ – المحرر الوجيز (٤٤٠/٤).

٣ – فتح القدير (٤٠٦/٤).

٤ – يراجع: البحر المحيط في التفسير (٣٥/٩)؛ والدر المصون (٢٣٤/٩).

- القراءة الأولى: بنصب الفعل فَيَمُوتُواْ، وهي قراءة متواترة، ونصب الفعل المضارع لوقوعه بعد (أن) المضمرة وجوبًا، لسبقها بفاء السببية الواقعة في جواب نهي محض.

ويكون معنى الجملة وفق هذه القراءة وجهان من المعاني:

أحدهما: أن معناها: لا يقضى عليهم بالموت فكيف يموتون؟!، من باب تسبب نفي سبب الموت في امتناع وجوده واستبعاده، والقضاء على هذا الوجه بمعنى الحكم، ولهذا قدر المفعول (الموت) (١).

والثاني: أن معناها: لا يُجهَز عليهم فيموتوا؛ لأنهم إذا ماتوا بطلت حواسهم فاستراحوا، وعلى هذا لا يحتاج إلى تقدير مفعول؛ لأن معنى القضاء مستفاد من لفظ الفعل ومتعلقه (عليهم) (٢).

وغرض الجملة وفق هذه القراءة: المبالغة في نفي المسبب (الموت)، بنفي السبب (القضاء) (٣).

- القراءة الثانية: برفع الفعل (فيموتون)، وهي لعيسى بن عمر الثقفي والحسن البصري، وهي من الشواذ، ورُفع الفعل عطفًا على الفعل (يقضى)، فالفاء عاطفة، وغرض الجملة وفق هذه القراءة: نفي القضاء والموت جميعًا؛ فتكون الفاء بمعنى الواو، والتقدير: لا يقضى عليهم ولا يموتون، ولا يكون للنفي حينئذٍ جوابٌ (٤).

وأجاز بعضهم في هذا القراءة أن يكون الرفع على الاستئناف، على معنى السببية وانتفاء الثاني لانتفاء الأول، فيكون قريبًا من معنى القراءة الأولى، والتقدير: لو قضي عليهم لوقع الموت لهم، ولكنهم لم يقض عليهم فلم يموتوا (٥).

---

١ – يراجع: شرح كتاب سيبويه، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، عام: ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م) (ص:٨٦٠-٨٦٢)؛ ومعانى القرآن للأخفش (١/ ٦٦)؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٢٧١).

٢ – يراجع: التفسير البسيط (١٨/ ٤٣١)؛ والبحر المحيط في التفسير (٩/ ٣٥).

٣ – يراجع: الدر المصون (٩/ ٢٣٤).

٤ – يراجع: شرح كتاب سيبويه للرماني (ص:٨٦١)؛ والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (القاهرة: وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د.ط، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م) (٢٠٢/٢)؛ والكشاف (٣/ ٦١٥)؛ والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥/ ٣٣٠)؛ والجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٣٥٢)؛ ومعجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب (دمشق: دار سعد الدين، الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م) (٤٤١/٧).

٥ – يراجع: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، المعروف بابن هشام (دمشق: دار الفكر، السادسة، ١٩٨٥م) (ص: ٦٢٥).

- الترجيح:

بعد عرض القراءتين الواردتين في الفعل (فيموتوا) في قوله تعالى: لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ ؛ تترجح القراءة؛ بناءً على الآتي:

- أولًا: كونها قراءة متواترة، أجمع عليها عامة القراء (١).

- ثانيًا: أن هذه القراءة أشفى لمعنى الجملة وغرض الآية، وذلك من وجوه:

أولها: أن نظم الآية وغرضها تقرير خلود الكافرين في النار، فتكون القراءة الأولى متسقةً معه،بخلاف القراءة الثانية، وهي أيضًا أبلغ في التعبير عن المعنى؛حيث جاءت بنَفْي سببِ الموت،وهو القضاء عليهم،وإذا نُفي السَّبَبُ فالمُسَبَّبُ أشد انتفاءً (٢).

يقول ابن جني -رحمه الله-: " وقراءة العامة في هذا أوضح وأشرح؛ وذلك أن فيه نفي سبب الموت، وهو القضاء عليهم. وإذا حذف السبب فالمسبب أشد انتفاء، ومن هذا قولهم: لم يقم زيد أمس؛ فنفي الماضي بلفظ المستقبل؛ وذلك أن المستقبل أسبق رتبة في النفس من الماضي، فإذا نفي الأصل كان الفرع أشد انتفاء " (٣).

والثاني: تأييد هذا المعنى لنظائر للآية في القرآن الكريم، من نحو قوله تعالى: وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ الزُّخْرُف: ٧٧، والقراءة الأولى أيضًا أسعد بالمعنى في كلٍ، بخلاف الثانية (٤).

- ثالثًا: أن في هذه القراءة رعايةً لفواصل السورة؛ بخلاف القراءة الثانية، وإن كان هذا الوجه ليس أوليًا، إلا أنه لم يمكن إغفاله؛ لموافقته طريقة العرب في التعبير (٥).

- رابعًا: أن في قراءة الرفع احتمال خطأ في المعنى؛ بناءً على التأويل؛ حيث لو رفع لاحتمل في التأويل: فهم يموتون، وهو خطأ في المعنى، فتكون قراءة النصب أبعد من الغلط في التأويل.

- خامسًا: أن بين الآية التي ذكروها مقيسًا عليه لقراءة الرفع، وهي قوله تعالى: وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ المُرْسَلَات:٣٦ وبين الآية فرقًا؛ فليس في تلك الآية إبهام (تقدير) يقتضي الغلط في التأويل؛ فالفعل معطوف على الفعل قبله بغير(أن) المضمرة، بينما في قوله تعالى:لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ عطف المصدر المقدر من (أن)المضمرة والفعل على الفعل، والتقدير قد يقتضي الغلط في التأويل،كما مر في رابعًا (٦).

---

١ – يراجع: المحتسب (٢٠٢/٢).

٢ – يراجع: جامع البيان ت شاكر (٣/ ٢٦٤)؛ والتفسير البسيط (٢٣/ ١٠٣)؛ والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥/ ٣٣٠).

٣ – المحتسب (٢٠٢/٢).

٤ – يراجع: تأويلات أهل السنة (٩/ ١٨٧).

٥ – يراجع: التفسير البسيط (٢٣/ ١٠٣).

٦ – يراجع: شرح كتاب سيبويه للرماني (ص:٨٦٢، ٨٦٣)؛ وحاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م) (٣/ ٤٤٢).

وبهذا يتضح عدم دقة تعقب العلامة الشوكاني لحكم الإمام ابن عطية على القراءة الثانية بالضعف؛ إذ أن لهذا الحكم وجوهًا من الإعراب والمعنى والنظم، ولعله من باب صيانة معاني القرآن الكريم من احتمال الغلط في التأويل.

المطلب الثاني:في وجه نصب يَوْمَ في قوله تعالى:يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ غَافِر: ١٦:

- قول الإمام ابن عطية:

ذكر الإمام ابن عطية وجهين في نصب يَوْمَ في قوله تعالى: يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ : الأول: أنه منصوب على البدلية من (يوم) في قوله تعالى: لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ غَافِر: ١٥، والثاني: أنه منتصب على الظرفية لقوله تعالى: لَا يَخْفَىٰ.

قال الإمام ابن عطية: " ونصب يَوْمَ على البدل من الأول؛ فهو نصب المفعول، ويحتمل أن ينصب على الظرف ويكون العامل فيه قوله: لَا يَخْفَىٰ، وهي حركة إعراب، لا حركة بناء" (١)

- تعقب العلامة الشوكاني:

قال العلامة الشوكاني عقب نقله كلام الإمام ابن عطية: " وقوله: يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ بدل من يوم التلاق. وقال ابن عطية: هو منتصب بقوله: لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ، وقيل: منتصب بإضمار اذكر، والأول أولى ..." (٢).

ويبدو لي أن العلامة الشوكاني قد أفاد مضمون هذا التعقب من الإمام أبي حيان – رحمهما الله- (٣).

- الدراسة:

للعلماء في وجه نصب يَوْمَ في قوله تعالى: يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ أقوال:

- الأول: أنه منتصب على البدلية (بدل كل من كل) من (يوم) في قوله تعالى: لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ غَافِر: ١٥، فيكون في موقع المفعول الثاني لـ (ينذر)، والتقدير: لينذر الناس يوم التلاق أنه منتصب على إضمار (اذكر)، والتقدير: اذكر يوم هم بارزون، فيكون مفعولًا به (٤).

---

١ – المحرر الوجيز (٥٥١/٤).

٢ – فتح القدير (٥٥٦/٤).

٣ – يراجع: البحر المحيط في التفسير (٢٤٥/٩).

٤ – يراجع: الهداية الى بلوغ النهاية (١٠/ ٦٤١٣)؛ وغرائب التفسير وعجائب التأويل، أبو القاسم تاج القراء برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، (جدة–بيروت: دار القبلة للثقافة الإسلامية – مؤسسة علوم القرآن، د.ط.ت) (٢/ ١٠٢٨)؛ والتبيان في إعراب القرآن (٢/ ١١١٧)؛ والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥/ ٤٨٠)؛ والجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٣٠٠)؛ والبحر المحيط في التفسير (٩/ ٢٤٤)؛ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٩/ ٤٦٤).

- الثاني: أنه منتصب على الظرفية لقوله تعالى: لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٌۚ غَافِر: ، والتقدير: لا يخفى على الله منهم شيء يوم هم بارزون (١).
- الثالث: أنه منتصب على إضمار (اذكر)، والتقدير: اذكر يوم هم بارزون، ويكون مفعولًا به (٢).
- الرابع: أنه منتصب على أنه ظرف للمصدر (التلاق)، والتقدير: يقع التلاقي في يوم هم بارزون (٣).

- الترجيح:

بعد عرض أقوال العلماء في وجه نصب يَوۡمَ في قوله تعالى: يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ ؛ يترجح لدي القول الأول، وهو (أن اليوم منصوب على البدلية من اليوم المذكور في الآية قبله)؛ بناءً على الآتي:

- أولًا: في إضافة (يوم) إلى ما بعدها هُم بَٰرِزُونَۖ ما يرجح البدلية؛ حيث يفيد التعبير يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ تبيين اليوم الأول وتأكيده؛ وفق مفهوم البدل، ويكون المراد باليوم: الوقت والزمن (٤).
- ثانيًا: نظم الآيات؛ حيث إن المراد بالتلاق في الآية قبلها على الأظهر: لقاء الخلائق بربهم تبارك تعالى؛ حملًا للإطلاق في لفظ (التلاق) على ما ورد في كتاب الله تعالى في المعنى ذاته، من نحو قوله تعالى: فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا الكَهۡف: ١١٠، وهو أشد الأقوال الواردة تخويفًا -كما ذكر الإمام ابن عطية-، ويتسق هذا المعنى (لقاء الله) مع إبدال قوله: يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ من يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ، وبيان هُم بَٰرِزُونَۖ بقوله: لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٌۚ (٥).
- ثالثًا: أن هذا القول لا يحتاج إلى تقدير، أو استثناء من قاعدة، بينما غيره من الأقوال ليس كذلك؛ فمثلًا القول المحتمل الذي ذكره الإمام ابن عطية -رحمه الله- مبني على القول بجواز عمل (لا) النافية فيما قبلها، أو أن ذلك الجواز في حال أن لا تقع في جواب القسم (٦).

---

١ – يراجع: الهداية الى بلوغ النهاية (١٠/ ٦٤١٣)؛ والتبيان في إعراب القرآن (٢/ ١١١٧)؛ والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥/ ٤٨٠)؛ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٩/ ٤٦٤).

٢ – يراجع: التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١١١٧)؛ والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥/ ٤٨٠)؛ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٩/ ٤٦٤).

٣ – يراجع: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٩/ ٤٦٤).

٤ – يراجع: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢١)؛ مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٦٣٥)؛ والمقرّب، أبو الحسن علي ابن مؤمن، المعروف بابن عصفور (بيروت: دار الكتب العلميّة، الأولى، ١٤١٨هـ) (ص:٣٢١)؛ وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد الأُشْمُوني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م) (٣/٣).

٥ – يراجع: المحرر الوجيز (٤/٥٥١)؛ وفتوح الغيب (١٣/٤٨١)؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد ابن مصطفى العمادي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط.ت) (٧/ ٢٧١).

٦ – يراجع: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٩/ ٤٦٥).

وبهذا يتضح صحة تعقب العلامة الشوكاني على الإمام ابن عطية، لكن يبقى أن القول المتعقَب قد ذكره الإمام ابن عطية على سبيل الاحتمال، وأنه قدم القول الراجح عليه في الذكر؛ مما يومئ إلى رجحانه عنده أيضًا.

المطلب الثالث: نوع لام وَلَمَنِ في قوله تعالى: وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ الشُّورَى: ٤١:

- قول الإمام ابن عطية:

اختار الإمام ابن عطية أن لام وَلَمَنِ في قوله تعالى: وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ هي لام التقاء القسم، وهي اللام الموطئة للقسم عند النحاة (١).

قال الإمام ابن عطية: " واللام في قوله: لَمَنِ ٱنتَصَرَ لام التقاء القسم " (٢)

- تعقب العلامة الشوكاني:

اختار العلامة الشوكاني كون اللام للابتداء، وتعقب قول ابن عطية فقال: " واللام هي لام الابتداء، وقال ابن عطية: هي لام القسم، والأول أولى. " (٣).

- الدراسة:

للعلماء في نوع لام وَلَمَنِ في قوله تعالى: وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ أقوال:

- الأول: أنها لام الابتداء (٤)، ويكون التقدير: ومن انتصر ممن ظلمه من بعد تحقق ظلمه إياه، فلا سبيل للمنتصر منه على المنتصر بعقوبة ولا أذى؛ لأنهم انتصروا بحق وجب لهم على من تعدى عليهم (٥).

- الثاني: أنها اللام الموطئة للقسم، ويكون التقدير: والله لمن انتصر ممن ظلمه، من بعد تحقق ظلمه إياه، فلا سبيل عليه بعقوبة ولا أذى؛ لأنه انتصر بحق وجب له (٦).

- الترجيح:

---

١ – هي: اللام الداخلة على أداة شرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها لا على الشرط؛ ومن ثمّ تسمى اللام المؤذنة، وتسمى الموطئة أيضا؛ لأنها وطأت الجواب للقسم، أي مهدته له. مغني اللبيب (ص: ٣١٠).

٢ – المحرر الوجيز (٥/٤٠).

٣ – فتح القدير (٤/٦٢٠).

٤ – هي: اللام الداخلة على المبتدأ، وفائدتها توكيد مضمون الجملة، وتخليص المضارع للحال. مغني اللبيب (ص: ٣٠٠).

٥ – يراجع: جامع البيان (٢١/٥٤٩)؛ وإعراب القرآن للنحاس (٤/٦١)؛ والهداية إلى بلوغ النهاية (١٠/٦٦٠٧)؛ والبحر المحيط في التفسير (٩/٣٤٥)؛ والدر المصون (٩/٥٦٢).

٦ – يراجع: روح المعاني (١٣/ ٤٨)؛ وتفسير التحرير والتنوير (٢٥/ ١١٨).

بدايةً لا بد من الإشارة إلى تقارب المعنى على كلا التقديرين؛ حيث الغرض من القسم أيضًا تحقيق الخبر وتوكيده (١)، ولا يؤثر اختلاف القولين إلا في بعض تفاصيل الإعراب المرتبطة بكل منهما، ومما يؤكد هذا ذكر من تعرض للمسألة من المفسرين القولين على أنهما وجهان جائزان في الآية.

وبعد عرض القولين الواردين في نوع اللام؛ يظهر رجحان القول بأنها لام الابتداء؛ بناءً على ما يأتي:

- أولًا: أن القول بأنها اللام الموطئة للقسم معترض عليه بعدم وجود جواب للقسم، وفق ما قرره النحاة أنه إذا اجتمع الشرط والقسم، حذف جواب المتأخر منهما؛ استغناء بجواب المتقدم (٢)، وهذا يقتضي أن يجاب القسم؛ لسبقه الشرط، والواقع أنه لم يجب إلا الشرط، وهذا على اعتبار أن (مَن) شرطية، وهو ظاهر النظم (٣)

- ثانيًا: أن كون اللام للابتداء ومجرد التوكيد يتسق مع النظم؛ حيث إن الآية واردة في سياق بيان شأن المظلوم، وإرشاده إلى مكارم الأخلاق، وإيثار طريق المرسلين، وهذا مقامٌ يناسبه تأكيد أقل من التوكيد بالقسم؛ لأن المخاطب ليس منكرًا؛ غاية الأمر أن الله تعالى علم أن الكل من عباده لا يمكنه التحرر من أحكام النفس، ولا التمكن من محاسن الخلق، ولما كان قوله تعالى: إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ الشُّورَى:٤٠ سادًا لباب الانتصار؛ لما يشعر به من أنه ظلم على كل حال؛ جاءت هذه الآية نفيًا لهذا الإشعار، بالترخيص للمظلوم في المكافأة على سبيل العدل والقسط، وإن كان الأولى به هو الصفح والعفو (٤).

يضاف إلى ما سبق: أن الأظهر هذه الآية معطوفة على قوله تعالى: فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ الشُّورَى: ٤٠، فجاءت لتصرح بأن الحض على العفو والصفح إنما هو على سبيل الإرشاد إلى الأصلح في الأغلب، وأن المنتصر بعد ظلمه لا سبيل عليه بوجه حالًا أو مآلًا، وتكون بمثابة العذر الصريح لمن لم يعف، ويناسب تلك المعاني تصديرها بلام الابتداء المؤكدة؛ دفعًا لما قد يتوهم من الحض على العفو خلاف ما تضمنته (٥).

وبهذا يتضح صحة تعقب العلامة الشوكاني على الإمام ابن عطية، مع الانتباه إلى تقارب الغرض في الإعرابين.

---

١ – يراجع: الإتقان في علوم القرآن (٥٣/٤).

٢ – يراجع: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله ابن عليّ المرادي المصري المالكي (القاهرة: دار الفكر العربي، الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م) (٣/ ١٢٨٩).

٣ – يراجع: الدر المصون (٥٦٢/٩).

٤ – يراجع: لطائف الإشارات (٣٥٨/٣)؛ والبحر المحيط في التفسير (٣٤٤/٩)؛ وفتوح الغيب (٧٨/١٤)؛ نظم الدرر (١٧/ ٣٣٧).

٥ – يراجع: روح المعاني (٤٨/١٣)؛ وتفسير التحرير والتنوير (١١٨/٢٥).

المطلب الرابع: في تعيين ما عُطف عليه قوله تعالى: وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ الذَّارِيَات:٣٨ :

- قول الإمام ابن عطية:

ذكر الإمام ابن عطية أن قوله تعالى: وَفِي مُوسَىٰٓ يحتمل أن يكون معطوفًا على فِيهَآ في قوله تعالى: وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةَ الذَّارِيَات: ٣٧، والتقدير: وتركنا فيها آية وفي موسى آية، ويحتمل أن يكون معطوفًا على قوله تعالى: وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ الذَّارِيَات: ٢٠، والتقدير: وفي الأرض آيات وفي موسى آيات.

قال الإمام ابن عطية: " وقوله تعالى: وَفِي مُوسَىٰٓ يحتمل أن يكون عطفا على قوله: فِيهَآ الذَّارِيَات: ٣٨، أي: وتركنا في موسى وقصته أثرًا أيضًا هو آية، ويحتمل أن يكون عطفا على قوله: وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ الذَّارِيَات: ٢٠، وفي موسى" (١).

- تعقب العلامة الشوكاني:

قال العلامة الشوكاني عقب نقله كلام الإمام ابن عطية: " قوله: وَفِي مُوسَىٰٓ معطوف على قوله: فِيهَآ، بإعادة الخافض، والتقدير: وتركنا في قصة موسى آية، أو معطوف على وَفِي ٱلۡأَرۡضِ، والتقدير: وفي الأرض وفي موسى آيات، قاله الفراء وابن عطية والزمخشري. قال أبو حيان: وهو بعيد جدا ينزه القرآن عن مثله. ويجوز أن يكون متعلقا بجعلنا مقدر؛ لدلالة وتركنا عليه، قيل: ويجوز أن يعطف على وَتَرَكۡنَا؛ على طريقة قول القائل: علفتها تبنًا وماءً باردًا، والتقدير: وتركنا فيها آيةً، وجعلنا في موسى آيةً. قال أبو حيان: ولا حاجة إلى إضمار (وجعلنا)؛ لأنه قد أمكن أن يكون العامل في المجرور: وتركنا، والوجه الأول هو الأولى، وما عداه متكلف متعسف لم تلجئ إليه حاجة، ولا دعت إليه ضرورة " (٢).

وقد أفاد العلامة الشوكاني كثيرًا من مضمون هذا التعقب من الإمام أبي حيان، كما هو ظاهر من كلامه (٣).

- الدراسة:

للعلماء في تعيين ما عُطف عليه قوله تعالى: وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ أقوال:

- الأول: أن قوله تعالى: وَفِي مُوسَىٰٓ يحتمل أن يكون معطوفًا على فِيهَآ في قوله تعالى: وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةَالذَّارِيَات: ٣٨؛ على إعادة الخافض، والتقدير: وتركنا فيها آية،وتركنا في قصة موسى آية؛أو:في إنجائه مما لحق فرعون وقومه من الغرق(٤).

---

١ – المحرر الوجيز (١٧٩/٥).

٢ – فتح القدير (١٠٧/٥، ١٠٨).

٣ – يراجع: البحر المحيط في التفسير (٥٥٨/٩).

٤ – يراجع: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٥٦)؛ والتفسير البسيط (٢٠/ ٤٥٤)؛ ومعالم التنزيل (٤/ ٢٨٦)؛ والبحر المحيط في التفسير (٥٥٨/٩)؛ والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٦/ ١٥).

- الثاني: أنه معطوف على قوله تعالى: وَتَرَكۡنَا؛ على طريقة قول القائل: علفتها تبنًا وماءً باردًا، والتقدير: وتركنا فيها آيةً، وجعلنا في موسى آيةً (١).

وقد اعتُرض على القولين السابقين بأنه لا حاجة إلى إضمار (وتركنا)؛ حيث يمكن أن يكون العامل في الجار والمجرور (وتركنا) المذكور قبله، كما أن فيه تعسفًا إذا كان ضمير (فيها) عائدًا إلى القرية (٢).

- الثالث: أنه معطوف على قوله تعالى: وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ الذَّارِيَات: ٢٠، والتقدير: وفي الأرض آيات، وفي شأن موسى وقصته آية واعتبار، ويكون ما بينهما اعتراضًا (٣).

وقد اعترض على هذا القول بالبعد، وعدم المناسبة، وفيهما نظر (٤).

- الرابع: أنه ليس معطوفًا على ما قبله، ويكون متعلقا بجعلنا مقدر؛ لدلالة (وتركنا) عليه، والتقدير: وجعلنا في موسى آيةً (٥).

- الخامس: أن يكون معطوفًا على معنى معلوم مما تقدمه، من خبر سيدنا إبراهيم وسيدنا لوط -عليهما السلام-؛ بدلالة كون الآيات قبلها في شأن الأنبياء وأممهم.

- السادس: أن يكون معطوفًا على قوله تعالى: هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ الذَّارِيَات ٢٤:، وتقديره: وفي موسى حديث إذ أرسلناه، ومستنده: جمع القرآن الكريم كثيرًا بين ذكر كل من سيدنا إبراهيم وسيدنا موسى -عليهما السلام(٦).

- الترجيح:

بعد عرض الأقوال الواردة في تعيين المعطوف عليه قوله تعالى:وَفِي مُوسَىٰٓ؛ يترجح لدي كون العطف على فِيهَآ في قوله تعالى: وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةَ الذَّارِيَات:٣٧ ؛ على إعادة الخافض ؛ نظرًا للآتي:

- أولًا: قرب الآيتين موقعًا ونظمًا؛ أما الأول فظاهر، ويكون من باب عطف جملة على جملة، وأما الآخر ، فالترك المذكور في الآية الأولى (وتركنا)، والمقدر في الآية الثانية مقصود منهما دوام الآية المذكورة والمقدرة، أي وفي قصة سيدنا موسى آية دائمة، والجامع بين قصتي قوم سيدنا لوط وقصة سيدنا موسى -عليهما السلام- في معنى الدوام شهرة كل منهما بين الناس.

---

١ – يراجع: فتح القدير (٥/ ١٠٧)؛ والكشاف (٤/ ٤٠٣)؛ وإيجاز البيان عن معاني القرآن (٢/ ٧٦٦)؛ التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١١٨١).

٢ – يراجع: مفاتيح الغيب (٢٨/ ١٨٢)؛ والبحر المحيط في التفسير (٥٥٨/٩).

٣ – يراجع: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٥٦)؛ وتأويلات أهل السنة (٩/ ٣٨٧)؛ وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٦٤)؛ والهداية الى بلوغ النهاية (١١/ ٧٠٩٧)؛ والتفسير البسيط (٢٠/ ٤٥٤)؛ ومعالم التنزيل (٤/ ٢٨٦)؛ وفتوح الغيب (١٥/ ٢٧، ٢٨).

٤ – يراجع: مفاتيح الغيب (٢٨/ ١٨٢)؛ والبحر المحيط في التفسير (٥٥٨/٩)؛ والدر المصون (١٠/ ٥٣).

٥ – يراجع: فتح القدير (٥/ ١٠٧).

٦ – يراجع: مفاتيح الغيب (٢٨/ ١٨٢).

- ثانيًا: ما بين قصتي سيدنا لوط وقصة سيدنا موسى -عليهما السلام- من تناسب؛ وذلك أن العذاب الذي عذب به الأمتان عذاب أرضي؛ إذ عذب قوم لوط بالحجارة التي هي من طين، وعذب قوم فرعون بالغرق في البحر، وكذلك ما بينهما معًا وما بين ما بعدهما من مناسبة؛ فقد عقبا بذكر عاد وثمود، وكان عذابهما سماويَا إذ عذبت عاد بالريح وثمود بالصاعقة (١).

وبهذا يتضح صحة تعقب العلامة الشوكاني على الإمام ابن عطية، مع الانتباه إلى أن الإمام ابن عطية قد قدم القول الراجح في الذكر، وأورد الآخر على سبيل الاحتمال والجواز، وهذا ما يفهم من كلامه وكلام غيره في المسألة (٢).

المبحث الرابع

تعقبات الإمام الشوكاني لآراء الإمام ابن عطية المتعلقة بالبحوث العقدية

للبحوث العقدية في التفسير منزلتها ومكانتها؛ إذ هي من مضامين تفسير القرآن الكريم، وبيان هداياته ومعانيه، بالإضافة إلى أنها معيار لسلامة منهج المفسر، ودقة تصوراته وأحكامه في مسائل الإيمان والتوحيد.

وقد تعقب العلامة الشوكاني أقوال الإمام ابن عطية في مسألتين من مسائل العقيدة، بيانهما في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: في كيفية إيمان بني إسرائيل في قصة قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ البَقَرَة:٦٣:

- قول الإمام ابن عطية:

اختار الإمام ابن عطية أن إيمان بني إسرائيل في قصة رفع الجبل فوقهم كان باختراع (خلق) الله تعالى الإيمان في قلوبهم، وأنهم لم يؤمنوا مكرهين.

قال الإمام ابن عطية: " وقصص هذه الآية أن موسى عليه السلام لما جاء إلى بني إسرائيل من عند الله تعالى بالألواح فيها التوراة، قال لهم: خذوها والتزموها، فقالوا: لا إلا أن يكلّمنا الله بها كما كلمك، فصعقوا، ثم أحيوا، فقال لهم: خذوها، فقالوا: لا، فأمر الله تعالى الملائكة فاقتلعت جبلا من جبال فلسطين، طوله فرسخ في مثله، وكذلك كان عسكرهم، فجعل عليهم مثل الظلة، وأخرج الله تعالى البحر من ورائهم، وأضرم نارا بين أيديهم، فأحاط بهم غضبه، وقيل لهم: خذوها وعليكم الميثاق ألا تضيعوها، وإلا

---

١ – يراجع: التحرير والتنوير (٢٧/ ٩).

٢ – يراجع: المحرر الوجيز (١٧٩/٥)؛ وفتح القدير (١٠٧/٥، ١٠٨)؛ والدر المصون (١٠/ ٥٣).

سقط عليكم الجبل، وغرقكم البحر وأحرقتكم النار، فسجدوا توبة لله، وأخذوا التوراة بالميثاق، وقال الطبري -رحمه الله- عن بعض العلماء: لو أخذوها أول مرة لم يكن عليهم ميثاق، وكانت سجدتهم على شق؛ لأنهم كانوا يرقبون الجبل خوفًا، فلما رحمهم الله قالوا: لا سجدة أفضل من سجدة تقبلها الله ورحم بها، فأمروا سجودهم على شق واحد.

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رحمه الله: والذي لا يصح سواه أن الله تعالى اخترع وقت سجودهم الإيمان في قلوبهم،لا أنهم آمنوا كرهًا وقلوبهم غير مطمئنة"(١)

- تعقب العلامة الشوكاني:

اختار العلامة الشوكاني أن الله تعالى أكرههم على الإيمان فآمنوا مكرهين، ورفع عنهم العذاب بهذا الإيمان، وتعقب قول الإمام ابن عطية بقوله: " وهذا تكلف ساقط، حمله عليه المحافظة على ما قد ارتسم لديه من قواعد مذهبية، قد سكن قلبه إليها كغيره، وكل عاقل يعلم أنه لا سبب من أسباب الإكراه أقوى من هذا أو أشد منه. ونحن نقول: أكرههم الله على الإيمان فآمنوا مكرهين، ورفع عنهم العذاب بهذا الإيمان. وهو نظير ما ثبت في شرعنا من رفع السيف عن من تكلم بكلمة الإسلام، والسيف مصلت قد هزه حامله على رأسه. وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذرا عن قتله بأنه قالها تقية، ولم تكن عن قصد صحيح: «أأنت فتشت عن قلبه؟» (٢)، وقال: «لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس» (٣)" (٤).

- الدراسة:

للعلماء في كيفية إيمان بني إسرائيل في قصة قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ البَقَرَة:٦٣ قولان:

- القول الأول: أن إيمانهم كان باختراع الله تعالى الإيمان في قلوبهم، فاطمأنت قلوبهم بالإيمان، وأنهم لم يؤمنوا مكرهين (٥).

ويبني هذا القول على أمور:

أولها: ما ثبت لله تعالى من صفة الوحدانية، الموجبة انفراده تعالى بالخلق والإيجاد، فالله تعالى وحده هو الخالق للعباد وأعمالهم، وعليه يكون كل فعل للعبد واقعًا بقدرة الله تعالى وحدها، فتكون أفعال العبد الاختيارية من جملة خلق الله تعالى واختراعه.

---

١ – المحرر الوجيز (١٥٨/١، ١٥٩).

٢ – أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، (ح: ٩٦).

٣ – أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: بعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وخالد ابن الوليد رضي الله عنه، إلى اليمن قبل حجة الوداع، (ح: ٤٣٥١)؛ والإمام مسلم صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، (ح: ١٠٦٤).

٤ – فتح القدير (١١٢/١).

٥ – يراجع: المحرر الوجيز (١٥٨/١، ١٥٩)؛ والبحر المحيط في التفسير (١/ ٣٩٤).

والثاني: أن التوفيق والخذلان للعبد يكون بمشيئة الله وقدرته؛ فالله تعالى هو الخالق لقدرة الطاعة فيمن أراد توفيقه (١).

والثالث: أن القول بقولهم آمنوا مكرهين يعارض ما تقرر في الأصول من امتناع تكليف الملجأ؛ لأنه يفضي إلى المحال (٢).

- القول الثاني: أن الله تعالى أكرههم على الإيمان فآمنوا مكرهين، ورفع عنهم العذاب بهذا الإيمان،ومستند هذا القول مذكور في كلام العلامة الشوكاني السابق (٣).

- الترجيح:

بعد عرض قولي العلماء في في كيفية إيمان بني إسرائيل في قصة قوله تعالى: وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ البَقَرَة:٦٣ ؛ يترجح لدي القول الأول، وذلك لوجوه:

- الأول: أن رفع الجبل لا يعني الإكراه والإلجاء إلى الإيمان، بقدر ما فيه من آية باهرة عجيبة، تبهر العقول، وترد المكذب إلى التصديق، والشاك إلى اليقين، فلما رأوا ذلك وعرفوا أنه من قبله تعالى علمًا لموسى عليه السلام، أقروا له بالصدق فيما جاء به وأظهروا التوبة وأعطوا العهد والميثاق، أن لا يعودوا إلى ما كان منهم من عبادة العجل، وأن يقوموا بالتوراة، فكان هذا عهدا موثقا جعلوه لله على أنفسهم (٤).

وقد يعترض على هذا الوجه بأن المعجزة أو العلامة بقصد الهداية لا تكون على هذا النحو من الشدة. والجواب أن أحوال الناس وطرائقهم في الإدراك شتى؛ لذا كان لكل ما يناسبه، وبنو إسرائيل معلوم طبائعهم، وصعوبة مراسهم (٥).

وذكروا في سبب رفع الجبل أقوالًا، وهي: امتناعهم من دخول الأرض المقدسة، أو من السجود، أو من أخذ التوراة والتزامها (٦).

- الثاني: أن ما ذكره العلامة الشوكاني من قران بين إيمانهم مكرهين، وبين ما ثبت من رفع السيف عن من تكلم بكلمة الإسلام، والسيف مصلت قد هزه حامله على رأسه فيه نظر؛ فلكل من المسألتين جهة تختلف عن الأخرى.

---

١ – يراجع: هداية المريد لجوهرة التوحيد، شيخ الإسلام برهان الدين إبراهيم اللقاني المالكي (القاهرة: دار البصائر، الأولى، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٩م) (ص: ٥٣٨–٥٤٥)؛ وشرح الصاوي على جوهرة التوحيد، الشيخ أحمد ابن محمد الصاوي المالكي (دمشق–بيروت: دار ابن كثير، الثانية، ١٤١٩هـ–١٩٩٩م) (ص: ٢٣٣، ٢٣٤).

٢ – يراجع: الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (بيروت–دمشق: المكتب الإسلامي، د.ط.ت) (١٥٤/١)؛ والبحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (القاهرة: دار الكتبي، الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م) (٧٣/٢).

٣ – يراجع: فتح القدير (١١٢/١).

٤ – يراجع: مفاتيح الغيب (٣/ ٥٣٧، ٥٣٨).

٥ – يراجع: لطائف الإشارات (١/ ٩٦).

٦ – يراجع: البحر المحيط في التفسير (١/ ٣٩٢).

- الثالث: أن ما ذكره العلامة الشوكاني من نصوص نبوية شريفة ليس دليلًا خالصًا لرأيه؛ فإن غاية ما يستفاد منه أن المسلم مأمور بالحكم بالظاهر والله تعالى يتولى السرائر (١).

بقي التأكيد على أن الأخبار التي بنيت عليها هذه القصة، وذلك الخلاف، من قبيل الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، وإن صح نقلها فالراجح أن إيمانهم لم يكن كرهًا.

يقول العلامة ابن عاشور: " على أنه لو صحت تلك الأخبار، لما كان من الإلجاء في شيء؛ إذ ليس نصب الآيات والمعجزات والتخويف من الإلجاء، وإنما هو دلالة وبرهان على صدق الرسول، وصحة ما جاء به، والممتنع في التكليف هو التكليف في حالة الإلجاء، لا التخويف لإتمام التكليف، فلا تغفلوا " (٢).

المطلب الثاني:في المراد بالعلو في قوله تعالى وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ البَقَرَة: ٢٥٥:

- قول الإمام ابن عطية:

اختار الإمام ابن عطية أن العلو في الآية علو قدر ومنزلة، لا علو مكان؛ بناءً على أن الله تعالى منزه عن التحيز والجهة، ونحوها من صفات الحوادث.

قال الإمام ابن عطية: " و ٱلۡعَلِيُّ: يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان؛ لأن الله منزه عن التحيز، وحكى الطبري عن قوم أنهم قالوا: هو العلي عن خلقه، بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه. قال القاضي أبو محمد عبد الحق -ﷺ-: وهذا قول جهلة مجسمين، وكان الوجه أن لا يحكى" (٣)

- تعقب العلامة الشوكاني:

ذكر العلامة الشوكاني اختيار الإمام ابن عطية، وتعقبه للقول الذي حكاه الإمام الطبري، فقال: " والعلي يراد به: علو القدر والمنزلة، وحكى الطبري عن قوم أنهم قالوا: هو العلي عن خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه. قال ابن عطية: وهذه أقوال جهلة مجسمين، وكان الواجب أن لا تحكى. انتهى. والخلاف في إثبات الجهة معروف في السلف والخلف، والنزاع فيه كائن بينهم، والأدلة من الكتاب والسنة معروفة، ولكن الناشئ على مذهب يرى غيره خارجا عن الشرع ولا ينظر في أدلته ولا يلتفت إليها، والكتاب والسنة هما المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل، ويتبين به الصحيح من الفاسد وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ المُؤۡمِنُون: ٧١، ولا

---

١ – يراجع: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الثانية، ١٣٩٢هـ) (١٦٣/٧).

٢ – التحرير والتنوير (١/ ٥٤٣).

٣ – المحرر الوجيز (٣٤٢/١).

شك أن هذا اللفظ يطلق على الظـاهر الغالـب كمـا فـي قولـه: إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِـي ٱلۡأَرۡضِ القَصَص: ٤ " (١).

- الدراسة:

للعلماء في المراد بالعلو في قوله تعالى: وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ أقوال:

- الأول: أن المراد بالعلو معناه الذي أراده الله تعالى، فتمر الآية كما جاءت، من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل، وهذه طريقة السلف في التفويض المطلق؛ وذلك .

يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله-: " فقوله: وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ كقوله: ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ [الرعد: ٩]، وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح، الأجود فيها طريقة السلف الصالح،إمرارها كما جاءت، من غير تكييف ولا تشبيه" (٢).

- الثاني: أن المراد علو المكانة والمنزلة، ولهم في التعبير عن ذلك المفهوم أقوال، منها: "وهو العلي عن النظير والأشباه" و" العلي عن كل موهوم يحتاج إلى عرش أو كرسي" و" العلي عن جميع أحوال الخلق وشبههم" و" علو الاقتدار ونفوذ السلطان"، وعلى هذا القول لا يكون يراد بالعلو المكان ولا الجهة؛ لتنزهه تعالى عن ذلك (٣)، وهذه طريقة الخلف.

يقول الإمام الرازي -رحمه الله-: " واعلم أنه لا يجوز أن يكون المراد منه العلو بالجهة، وقد دللنا على ذلك بوجوه كثيرة .." (٤).

- الثالث: أن المراد أنه العلي على خلقه، بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه؛ لأنه -تعالى ذكره- فوق جميع خلقه، وخلقه دونه، كما وصف به نفسه أنه على العرش، فهو عال بذلك عليهم (٥)، وهذا منهج الإثبات، وفق تسمية أصحابه.

- الترجيح:

بعد عرض مناهج العلماء في المراد بالعلو في قوله تعالى: وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ؛ يترجح لدي القولان الأول والثاني؛ باعتبارهما قولي أهل السنة والجماعة من السلف والخلف.

أما القول الأول فظاهر وجهه من تفويض المعنى المراد لله تعالى على الإطلاق، مع تنزيه الله تعالى عن الظاهر غير اللائق بجلاله؛ إثباتًا للطريق الأسلم.

---

١ – فتح القدير (٣١٢/١).

٢ – تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٢١).

٣ – يراجع: جامع البيان (٥/ ٤٠٦)؛ وتأويلات أهل السنة (٢/ ٢٣٨)؛ وبحر العلوم (١/ ١٦٩)؛ والمنهاج في شعب الإيمان، أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، المعروف بالحَلِيمي (بيروت: دار الفكر، الأولى، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) (١/ ١٩٠)؛ والهداية الى بلوغ النهاية (١٠/ ٦٥٥٥)؛ والنكت والعيون (١/ ٣٢٦).

٤ – مفاتيح الغيب (٧/ ١٤).

٥ – يراجع: جامع البيان (٥/ ٤٠٦)؛ وعقيدة السلف – مقدمة أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة، أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (المتوفى: ٣٨٦هـ) (الرياض: دار العاصمة، د.ط.ت) (ص: ٥٦).

وأما القول الثاني فمحمول على الاستعارة؛ بناءً على ما تقرر لدى الخلف من أن الله تعالى وجب عقلًا وسمعًا مخالفته للحوادث؛ لذا وجب علينا شرعًا تنزيهه تعالى عما دل عليه ذلك الظاهر الوارد في الكتاب أو السنة موهمًا خلاف ما وجب له تعالى من المخالفة للحوادث.

وقد ذهب الخلف إلى التأويل التفصيلي لتلك النصوص؛ دفعًا لمطاعن الجاهلين، وتقويةً لعضد القاصرين، وسلوكًا للطريق الأحكم والسبيل الأعلم، المبني على معرفة طرائق العرب وأساليبهم في التعبير عن المعاني.

وبهذا يظهر اتفاق الفريقين على تنزيه الله تعالى عن المعنى المحال غير اللائق، من الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجارحة، ونحو ذلك، مما يدل عليه ظاهر تلك النصوص (١).

وأما القول الثالث فمؤسس وفق منهج دخيل؛ بشهادة بعض من يحسبون عليه من العلماء؛ حيث ذكروا أن إثبات الجهة والمكان والحد ونحوها من تراث بعض الفرق المنحرفة كالكرامية، ولا صلة لهذا النهج بطريقة السلف الصالح ومنهجهم في العقائد (٢).

وبهذا يتضح عدم صحة تعقب العلامة الشوكاني على الإمام ابن عطية، في كل من المطلبين السابقين.

---

١ – يراجع: تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب، قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل قاسم البكي الكومي التونسي (بيروت: مؤسسة المعارف، الأولى، د.ت) (ص: ١٧٨، ١٧٩)؛ وهداية المريد لجوهرة التوحيد (٤٩٠–٤٨٨)؛ وشرح الصاوي على جوهرة التوحيد (ص: ٢١٧، ٢١٨)

٢ – يراجع: العرش، الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، الثانية، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م) (٢١٧/١)؛ و.

الخاتمة

- أولا : نتائج البحث:

أسفرت الدراسة عن عدد من النتائج، أهمها:

١- للتعقبات في التفسير دور أصيل في إثراء البحث العلمي والدرس التفسيري، بصورة عامة.

٢- إفادة العلامة الشوكاني في كثير من تعقباته -معنىً أو نصًا- ممن سبقه من السادة المفسرين، كالقرطبي وأبي حيان والسمين الحلبي.

٣- عدم رجحان تعقبات العلامة الشوكاني لأقوال الإمام ابن عطية في أغلب ما يتعلق منها بالمعنى والنظم.

٤- رجحان تعقبات العلامة الشوكاني لأقوال الإمام ابن عطية في مسائل الوقف والابتداء.

٥- عدم رجحان تعقبات العلامة الشوكاني لأقوال الإمام ابن عطية في أغلب ما يتعلق منها بإعراب القرآن.

٦- عدم دقة تعقبات العلامة الشوكاني لأقوال الإمام ابن عطية في كل ما يتعلق منها بالبحوث العقدية.

٧- أن أغلب المسائل التي وسمت فيها تعقبات العلامة الشوكاني بالرجحان هي من الأقوال التي ذكرها الإمام ابن عطية على جهة الاحتمال، وليست القول الراجح عنده؛ بدلالة تقديم القول الراجح عليها في الذكر، وتصديرها بعبارات تشعر بالاحتمال، أو مجرد الجواز.

- ثانيا : توصيات البحث:

١- استحداث مقرر يتناول: (النقد عند المفسرين) في برامج الدراسات العليا بالجامعة.

٢- إنشاء مختبر يختص بالدراسات النقدية عند المفسرين، يتضمن ملتقى سنويًا، وكتاب لأبحاث الملتقى.

ثبت بالمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م).
- الإحاطة في أخبار غرناطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٤ هـ).
- أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، ١٤٠٥ هـ).
- أحكام القرآن، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري المالكي (بيروت: دار الكتب العلمية، الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).
- الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد ابن سالم الثعلبي الآمدي (بيروت-دمشق: المكتب الإسلامي، د.ط.ت).
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد ابن مصطفى العمادي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط.ت).
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد ابن مصطفى العمادي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط.ت).
- أساس البلاغة، أبو القاسم الزمخشري (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).
- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (الدمام: دار الإصلاح، الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية، أبو الربيع نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الطوفي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).
- إصلاح المنطق، أبو يوسف يعقوب ابن إسحاق المعروف بابن السكيت (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م).
- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المعروف بالنحاس (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ).
- أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، إسماعيل بن يوسف بن محمد بن نصر الخزرجي الأنصاري النصري، أبو الوليد، المعروف بابن الأحمر (بيروت: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م).
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (بيروت: دار العلم للملايين، الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م).
- الإمام الشوكاني مفسرًا، محمد حسن أحمد الغماري (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، كلية الشريعة، رسالة دكتوراه،١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م).
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله ابن عمر البيضاوي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى - ١٤١٨ هـ).
- إيضاح الوقف والابتداء، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م).

- الإيضاح في علوم البلاغة، أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (بيروت: دار الجيل، الثالثة، د.ت).
- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م).
- البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (القاهرة: دار الكتبي، الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠ هـ).
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الحسني (القاهرة: طبعة الدكتور حسن عباس زكي، الأولى، ١٤١٩ هـ).
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (بيروت: دار المعرفة، د.ط.ت).
- البديع في علم العربية، ابن الأثير الجزري (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، الأولى، ١٤٢٠هـ).
- البرهان في تناسب سور القرآن، أبو جعفر أحمد ابن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (بيروت: دار المعرفة، د.ط، ١٣٩١هـ).
- البصائر والذخائر، أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي (بيروت: دار صادر – بيروت، الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (القاهرة: دار الكاتب العربي، د.ط، ١٩٦٧ م).
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، أ.د/ محمد أبو موسى (القاهرة: دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط.ت).
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (الكويت: دار الهداية، الأولى، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م).
- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، أبو الطيب محمد صديق خان الحسيني البخاري القِنَّوجي (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م).
- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (بيروت: دار الغرب الإسلامي، الأولى، ٢٠٠٣م).
- تاريخ قضاة الأندلس، أبو الحسن علي ابن عبد الله بن محمد بن محمد الجذامي النباهي المالقي الأندلسي (بيروت: دار الآفاق الجديدة، الخامسة، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م).
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط.ت).

- تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب، قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل قاسم البكي الكومي التونسي (بيروت: مؤسسة المعارف، الأولى، د.ت).
- تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون - آخر سورة السجدة، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، الأولى، ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م).
- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (الرياض: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الأولى، ١٤٣٠ هـ).
- تفسير التحرير والتنوير، العلامة محمد الطاهر المعروف بابن عاشور (تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م).
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٩ هـ).
- تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، سنة ١٤١٩هـ).
- تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (القاهرة: دار الفكر الإسلامي الحديثة، الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م).
- التفسير والمفسرون، أ.د محمد حسين الذهبي (القاهرة: مكتبة وهبة، السابعة، ٢٠٠٠م).
- تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي، البصري ثم الإفريقي القيرواني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م).
- تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، أبو حامد جمال الدين محمد بن علي بن محمود، المحمودي، المعروف بابن الصابوني (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط.ت).
- تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى، ٢٠٠١م).
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله ابن عليّ المرادي المصري المالكي (القاهرة: دار الفكر العربي، الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م).
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي (القاهرة: عالم الكتب، الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
- التيسير في قواعد التفسير، محي الدين محمد بن سليمان الكافيجي (القاهرة: دار القدسي، الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م).
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي القرطبي (القاهرة: دار الكتب المصرية، الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م).
- جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (بيروت: دار الفكر، الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م).
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (بيروت: دار العلم للملايين، الأولى، ١٩٨٧م).

- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م).
- حياة الحيوان الكبرى، أبو البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري الشافعي (بيروت: دار الكتب العلمية، الثانية، ١٤٢٤ هـ).
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد ابن يوسف ابن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (دمشق: دار القلم، د.ط.ت).
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد ابن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (دمشق: دار القلم، د.ط.ت).
- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أ.د/ أحمد درويش (القاهرة: مكتبة الزهراء، الأولى، د.ت).
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري، المعروف بابن فرحون (القاهرة: دار التراث للطبع والنشر، د.ط.ت).
- سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان بن قَايْماز الذهبي (بيروت: مؤسسة الرسالة، الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد الأُشْمُوني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م).
- شرح الأصول الخمسة لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمداني المعتزلي، الإمام أحمد بن الحسين ابن هاشم الزيدي (القاهرة: مكتبة وهبة، الثالثة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م).
- شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المالكي (دمشق-بيروت: دار ابن كثير، الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م).
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (القاهرة: دار المعارف، الخامسة، د.ت).
- شرح المقدمة المحسبة، طاهر بن أحمد بن بابشاذ (الكويت: الطبعة العصرية، الأولى، ١٩٧٧م).
- شرح كتاب سيبويه، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض، عام: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (بيروت: دار الجيل، الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (القاهرة: مكتبة الخانجي، الثانية، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م).
- طبقات علماء الحديث، أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عبد الهادي الدمشقي الصالحي (بيروت: مؤسسة الرسالة، الثانية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م).
- العرش، الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، الثانية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
- عقيدة السلف - مقدمة أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة، أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (الرياض: دار العاصمة، د.ط.ت).

- علل النحو، أبو الحسن محمد بن عبد الله بن العباس، المعروف بابن الوراق (الرياض: مكتبة الرشد، الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م).
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (بيروت: دار ومكتبة الهلال، الأولى، د.ت).
- غرائب التفسير وعجائب التأويل، أبو القاسم تاج القراء برهان الدين محمود ابن حمزة بن نصر الكرماني (جدة-بيروت: دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، د.ط.ت).
- الفتاوى الحديثية، شيخ الإسلام أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري (بيروت: دار الفكر، د ط.ت).
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م).
- فهرس ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (بيروت: دار الغرب الإسلامي، الثانية، ١٩٨٣ م).
- فوات الوفيات، صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد (بيروت: دار صادر، الأولى، ١٩٧٣-١٩٧٤م).
- القطع والائتناف، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المعروف بالنحاس (السعودية: دار عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ-١٩٩٢م).
- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني (المدينة المنورة: دار الزمان، الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- الكشاف عن حقائق التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله (بيروت: دار الكتاب العربي، الثالثة - ١٤٠٧هـ).
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة (بغداد: مكتبة المثنى، د.ط، ١٩٤١م).
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م).
- اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري (بيروت: دار صادر، د.ط.ت).
- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله ابن الحسين العكبري (دمشق: دار الفكر، الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م).
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على المعروف بابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (بيروت: دار صادر، الثالثة، ١٤١٤ هـ).
- لطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الثالثة، د.ت).
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ط، ١٣٨١هـ).

- مجموع الفتاوى، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م).
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (القاهرة: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د.ط، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية الأندلسي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٢هـ).
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد ابن محمود النسفي (بيروت: دار الكلم الطيب، بيروت، الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- المدونة، الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م).
- مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي المالكي (بيروت: مؤسسة الرسالة، الثانية، ١٤٠٥هـ).
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الأولى ، ١٤٢٠هـ).
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج (بيروت: دار عالم الكتب، الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
- معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (القاهرة: مكتبة الخانجي، الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م).
- معاني القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بالنَّحَّاس (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، الأولى، ١٤٠٩هـ).
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (القاهرة: المصرية للتأليف والترجمة، الأولى، د.ت).
- معجم البلدان، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (بيروت: دار صادر، الثانية، ١٩٩٥م).
- معجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب (دمشق: دار سعد الدين، الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م).
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أ.د أحمد مختار عمر (بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م).
- المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، أ.د أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل (الرياض: مؤسسة سطور المعرفة، الأولى، ١٤٢٣هت-٢٠٠٢م).
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة (بيروت: مكتبة المثني- دار الكتب العلمية، الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م).
- معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، د.ط، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

- المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن أبي بكر القضاعي البلنسي المعروف بابن الأبار (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، أبو عبد الله شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان ابن قَايْماز الذهبي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م).
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، المعروف بابن هشام (دمشق: دار الفكر، السادسة، ١٩٨٥م).
- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الثالثة،١٤٢٠هـ).
- المفردات في غريب القرآن، أبو الحسين الراغب الأصفهاني (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- مقدمة في أصول التفسير، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (بيروت: دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، ١٤٩٠هـ- ١٩٨٠م).
- المقرّب، أبو الحسن علي ابن مؤمن، المعروف بابن عصفور (بيروت: دار الكتب العلميّة، الأولى، ١٤١٨هـ).
- المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء، أبو يحيى زين الدين زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي (المنصورة: دار المصحف، الثانية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).
- المكتفى في الوقف والابتدا، الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الداني (عمّان: دار عمار، الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م).
- منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، العلامة أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي (القاهرة: دار الحديث - القاهرة، د.ط، ٢٠٠٨م).
- المنتخب من غريب كلام العرب، أبو الحسن علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، الملقب بـ «كراع النمل» (مكة المكرمة: جامعة أم القرى - معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
- المُنَجَّد في اللغة، أبو الحسن علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، الملقب بـ «كراع النمل» (القاهرة: عالم الكتب، الثانية، ١٩٨٨م).
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى ابن شرف النووي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الثانية، ١٣٩٢هـ).
- المنهاج في شعب الإيمان، أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، المعروف بالحَلِيمي (بيروت: دار الفكر، الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، أ.د عبد الوهاب فايد (القاهرة: الهيئة العامة للمطابع الأميرية، الأولى، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م).

- الموسوعة القرآنية المتخصصة، لموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د.ط، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م).
- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري المالكي (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).
- الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بالنَّحَّاس (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢١هـ).
- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، الشهير بالماوردي (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط.ت).
- نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر من هجرة سيد البشر ﷺ، محمد بن محمد ابن زبارة الصنعاني (اليمن: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، د.ط.ت).
- هداية المريد لجوهرة التوحيد، شيخ الإسلام برهان الدين إبراهيم اللقاني المالكي (القاهرة: دار البصائر، الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٩م).
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (الشارقة: جامعة الشارقة، الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك ابن عبد الله الصفدي (بيروت: دار إحياء التراث، د.ط، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).
- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرز الباوَرْدي، المعروف بغلام ثعلب (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

الفهرس

ملخص البحث:	١
مقدمة	٣
التمهيد تعريفات ومداخل	٧
المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث:	٧
المطلب الثاني: تعريف موجز بالإمام ابن عطية وتفسيره:	١٠
المطلب الثالث: تعريف موجز بالعلامة الشوكاني وتفسيره:	١٦
المبحث الأول التعقبات المتعلقة بالمعنى والنظم	٢١
المبحث الثاني تعقبات الإمام الشوكاني لآراء الإمام ابن عطية المتعلقة بالوقف والابتداء	٣٣
المبحث الثالث تعقبات الإمام الشوكاني لآراء الإمام ابن عطية المتعلقة بإعراب القرآن	٤٠
المبحث الرابع تعقبات الإمام الشوكاني لآراء الإمام ابن عطية المتعلقة بالبحوث العقدية	٤٩
الخاتمة	٥٥
ثبت بالمراجع	٥٦